

عبد الهادي الفوادی

القصص في العصر الإسلامي

ساعدت وزارة التربية على طبعه

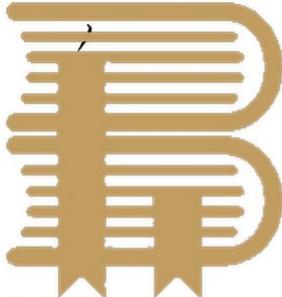
تقديم

الدكتور ابراهيم السامرائي
أستاذ مساعد في كلية الآداب
بجامعة بغداد

طبع بطبعية دار الزمان - بغداد

9027

1977



القصص في العصر الاسلامي

ساعدت وزارة التربية على طبعه

تقديم

الدكتور ابراهيم السامرائي
استاذ مساعد في كلية الآداب
بجامعة بغداد

طبع بمطبعة دار الزمان - بغداد
١٩٦٦

الباب الأول

القصص التاريخي والديني

تقديرات

بِقَلْمِنْ
الدكتور ابراهيم السامرائي

هذه محاولة طيبة جادة يقوم بها الاديب السيد عبدالهادي الفؤادي في موضوع « القصص في العصر الاسلامي » ، والسيد الفؤادي من الذين هروا البحث والكلد وفي كل مرة يخرج بشرفات يانعات . لقد عرفته طالبا في قسم الاثار من كلية الاداب في بغداد جدا كأحسن ما يكون الجد ، مفيدة من وقته وظروفه الافادة المقتضاة . وربما كان بداعا بين اقرانه من شغلتهم الدراسات القديمة التي تقوم على النصوص العتيقة بالرسم المسماري ، أقول بداعا لأن اولئك قلما يتذكون تلك النصوص العتيقة الى غيرها في حين ان السيد الفؤادي مولع بالمعرفة اشد الواعظ يهوى كل جديد اليه . ومن اجل هذا فقد تناول هذا الموضوع . وهذا الموضوع وان كان لا يخرج من ميدان التاريخ القديم ، فهو ذو جوانب ادبية تقتضي الباحث ان يكون واسع المعرفة بالادب وعلوم العربية . وقد تناول السيد الفؤادي الموضوع من الناحية التاريخية فعرض للرواد الاولى في ميدان الحكاية والقصة ، كما عرض للاصول التي اعتمد عليها هذا النمط الحكائي من الادب القديم .

وانا اذ اقدم للاديب السيد الفؤادي آمل مخلصا ان تتهيأ له الظروف النافعة ليصل الى مبتغاه والسلام .

بغداد - ١٧ نيسان ١٩٦٤

الدكتور ابراهيم السامرائي
استاذ مساعد في كلية الاداب
بجامعة بغداد

ان تناول موضوع «القصص في العصر الاسلامي» لم يكن جديدا في بابه ، بل تصدى له كتاب كثيرون وتناولوه بالبحث ، اضافة الى ما جاء في كتب التاريخ والادب عن القصص والقصاص وما كانوا يقصون به الناس من روايات وحكايات وما الى ذلك ٠

والبحث الذي نحن بصدده ، كنت قد بدأت فيه عام ١٩٥٩ عندما كنت طالبا في كلية الاداب ٠ الا اتي لاحظت بعد تخرجي - وبتشجيع كريم من استاذي الفاضل الدكتور ابراهيم السامرائي الذي اولاني عنايته - ضرورة اكمال هذا البحث وتوسيعه ٠ وكان لذلك التشجيع اثره البالغ في اعداد هذا البحث المتواضع ٠

والواقع اني بعد مراجعة كثير من المصادر ذات العلاقة بالبحث ، وبعد دراستي له بشكل شامل ، وجدت ان ثمة ضرورة تستدعي دراسة هذا الموضوع بشكل جديد ومستفيض بحيث تم فيه وحدة الموضوع ، اي العمل على تهيئة دراسة بهذا الخصوص تستكمل فيها عناصر البحث ، وتطرح فيما كل ما ورد من آراء وروايات مع مناقشة تلك الاراء والروايات وغيرها بروح علمية بحثة ٠

وموضوع البحث هذا ، ليس موضوعا هينا في واقعه ، فهو عميق وواسع ويحتاج الى كثير من التدقيق والتمحيص والتروي ، زد على ذلك فأن ما آلم الينا من روايات واقاصيص بهذا الخصوص بحاجة الى دراسة واستقراء عيقيين حتى يأتي الحكم عليها او تثبيت الرأي بخصوصها منسجما مع طبيعة البحث ودقته من الوجهة العلمية ٠ وهنال فلا بد لي ان اشير الى ملاحظة مهمة قد تتعرض القاريء الكريم الا

وهي الاسهاب في الباب الاول من هذا البحث ، في الوقت الذي كاد الايجاز نصيب الباب الثاني منه . والواقع فأن ذلك امر ضروري تستدعيه طبيعة البحث . فالباب الاول في حقيقته يعتبر مركز الثقل والاساس بالنسبة لموضوعنا ، فهو يتسم بالأهمية والعمق نظرا لما يحويه من جوانب متعددة تتطلب مزيدا من التفصيل والتدليل معززا بالنصوص التاريخية اللازمة . فهو يشمل مثلا القصص القرآني : نشأته وظروفه والتأثيرات التي طرأت على القصص الإسلامي وعلى القصاص ، وكذلك عن المصادر التي استقى أولئك القصاص الاوائل قصصهم منها ومدى علاقه تلك وتأثيرها بكتب العهد القديم والاسرائيليات . ثم تطرقنا في هذا الباب الى نظرية المسلمين الى القصاص ، ومكانة القصاص لدى العلماء وتطور تلك المكانة ، حتى لاحظنا في الباب الثاني ان تلك المكانة واولئك القصاص يصبحون مجرد ظرفاء يتفكرون برواية القصص طمعا في لفت انتظار الناس اليهم والهائموا بضمورهم . ولهذا نرى تلك القصص تنزل ببعضها اسلوبا وغاية ومعنى الى اتعس منزلة بعد ان كانت تتزع الى اكرم الغايات وابل المعاني ، وتشد - بما كانت تحويه من اساليب الوعظ والارشاد - الى زرع الفضيلة وخدمة الدين الحنيف ، غدت اخيرا مجرد افاصيص لا يقصد منها سوى التدر والتسليه . ولهذا لم اجد ثمة حاجة تستدعي الاسهاب في الباب الثاني ، والاكتفاء بايراد بعض النماذج من رواد هذا اللون من القصص مع بعض افاصيصهم حتى يحيط القاريء الكريم علما بجوانب هذا النمط من القصص الإسلامي بعد ان انحطت مكانته ، واسيء استعماله ووصل الى هذه الحال المتردية .

اتي في الوقت الذي اقدم هذه الدراسة الى القاريء الكريم ، لا اعتقاد جازما بائي قد وفيت الموضوع حقه ، فهو بحث متواضع احببت رغبة واسهاما مني في خدمة تراثنا الحضاري والفكري ان اهيء هذه

الدراسة واقدمها لقراء العربية ، علماً بأنني اعلم سلفاً مبلغ المسؤولية العلمية والتاريخية الملقاة على عاتقي ، والتي حاولت جهد ما استطعت ان اكون اميناً على تحملها و ايقاد المنسuch والروايات و تثبيت مصادرها كما يجب ، عسى ان اكون قد وفقت في مجھودي هذا .

وفي الختام فأنه لا يسعني الا واقدم بالشكر الجليل لكل من ساعدنی و شجعني على اخراج هذا الكتاب الى النور لاستفید منه القاريء الكريم^(١) ومن الله التوفيق .

بغداد — ٢٤ آب ١٩٦٤

عبد الهادي الفوادی

(١) و اخص بالذكر الاستاذ الدكتور السامرائي لراجعته هذا البحث .

الفصل الأول

القصص وتطورها

القصص في القرآن

لقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : « نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحيانا اليك هذا القرآن وان كنت قبله من الغافلين » ٠ وجاء في موضع اخر قوله جل شأنه : « فاقصص القصص لعلهم يتقربون » ٠ والواقع اتنا لو تصفحنا كتب اللغة وما ورد فيها من معان بخصوص مادة (قصص) ، لوجدنا شيئاً كثيراً ، فقد ورد أن : (القص) هو : اتباع الاثر ، ويقال خرج فلان قصصا في اثر فلان وقصاصا وذلك اذا اقتضى اثره ٠ وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر ، وسوقه الكلام سوقا ٠ هذا ما رواه اللغويون^(١) ٠

اما في كتب التفسير ، فتختطوا المسألة خطوة الى الامام ذلك لأنهم ينظرون الى المسألة باعتبارين : اعتبار لغوي ، يعتمدون فيه على ذلك الحصيل اللغوي كما مر آنفا ٠ واعتبار ديني ينظرون فيه من وجهة نظر خاصة هي قصد القرآن الكريم من قصصه او اهدافه التي يرمي اليها ٠ يقول الرازى وهو واحد من المفسرين الذي يمثل الاعتبارين آنفي الذكر ويقترب الى حد ما من الميدان الادبي عند تفسيره للأية السابقة

(١) النيروزآبادى - القاموس المحيط ، مادة (قص) فصل القاف باب الصاد .

« نحن نقص عليك ٠٠٠٠ الخ » ما يأتي : القصص اتباع الغبر بعضه بعضاً ، واصله في اللغة المتابعة ، قال تعالى : « وقال لاخته قصيه » اي اتبعي اثره ، وقال تعالى « فارتدا على آثارهنا قصصاً » اي اتبعها . وانما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً ، وهو قول يدل على ان الرazi يحاول التقرب بين المعنى اللغوي وبين الاصطلاح الادبي وذلك حين يربط بين الاثنين باستعماله لفظ الحكاية واطلاقه لفظ القصة عليها ، والرازي بذلك يدخل الميدان الادبي او يقترب منه وذلك لأن القصة الدينية ليست الا لوفا من الوان القصص الادبي^(١) ..

ان القرآن بدون شك ادخل بقصصه التاريخية المسوقة للعبرة^(٢) فما من الفنون الجديدة في الادب العربي كفن القصة . وكانت قصصه كما قلنا مستفيضة ملمة بالاحاديث الى ابعد مداها من الكمال حتى تقدّم استوعب بعض السور الكبرى كسورة يوسف ، او جاء بهذا متفرقان في خلال بعض السور كقصة آدم وابراهيم وموسى وعيسى ، او جاء باشارات والمآمات حملت جمهور المتخصصين بتلك القصص على الرجوع الى كتب العهد القديم ، لقصص يعقوب وانبياءبني اسرائيل كما يذكره الاستاذ جلال في كتابه قصص من القرآن وهذا ما دعا بعض الباحثين الى ان يذهبوا الى القول في ان معظم اولئك القصاصين كانوا قد تأثروا بقصصهم الى حد كبير بكتب واقاضيص اهل الكتاب من نصارى ويهود

(١) خلف الله — الفن القصصي ، ص ١٣٥ - ١٣٦

(٢) قال تعالى بعد ذكره لقصة يوسف : « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » سورة يوسف آية - ١١١

كما سترى فيما بعد^(١) .

لقد كان القرآن — بالطبع — مادة خصبة لأولئك القصاصين الأول الذين وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ، فاتخذوا من الحوادث والقصص والاشارات التي اوردها سندا ومصدرا يؤكدون فيه ما يقصون به الناس على ان كل ما يذكروننه انما هو تفسير للقرآن ووارد فيه بالرغم من بعده عن الحقيقة بل وتفاوته ازاء العبرة والموعظة التي يرجيها القرآن من اراده لها .

وبناء على مفهومنا هذا يمكننا الوصول الى نقطة جوهريه ذات بال في الموضوع ، وهو ان اولئك القصاصين كانوا باديء ذي بدء وعاظوا يعظون الناس في المساجد وذلك بتفسيرهم القرآن . وبهذا اخذوا ينزعون بتفسيراتهم هذه وبوعظهم هذا الى القصص والاساطير في دائرة خاصة بالنسبة لهم .

ان اعتماد المفسرين على الثقافة التاريخية والاسرائيليات وعلى الفروض النظرية لفهم القصص القرآني لم يصل بهم في كل موطن الى ما يريدون من كشف عن الفموض وازاله للابهام وانه على العكس من ذلك وصل بهم الى متأهات ، فلم يصلوا الى وجہ الحق في المسألة وهذا هو الذي نراه في تفسيرهم لقصة « الذى مر على قرية وهي خاوية على

(١) من الملاحظ ان القرآن ابهم مقومات التاريخ في قصصه ، فابهم الزمان والمكان ، وابهم في كثير من المواطن الصفات المميزة للأشخاص . واختار من الاحداث التاريخية بعضا دون بعض . صنع القرآن كل هذا او احسن المفسرون منه بهذا الصنيع وشعروا بأن الفهم التاريخي للقصص القرآني لن يستقيم حتى يذهب هذا الفموض التاريخي ؛ وحتى يذهب ما قصد اليه القرآن من ابهام . ومن هنا رأيناهم يعمدون الى الثقافة التاريخية والى الاسرائيليات ، بل رأيناهم احيانا يعمدون الى الفروض النظرية الصرف لعل واحدة منها او كلها مجتمعة عزيل عن القصص القرآني ما به من غموض او ابهام تأريخي ، راجع خلفيه الله ، الفن القصصي ، ص ٣٣ — ٣٤

عروشها » وفي شرحهم لمسألة كيفية دخول ابليس الجنة بعدئذ اخرجه الله منها ليوسوس الى آدم ويدفعه الى الاكل من الشجرة^(١) .

ومن الجدير ذكره هنا ما اورده الاستاذ جولد تسيمر بقوله : -
« كما كان هناك ما ورد في الكتب السابقة من مختلف القصص التي حملها محمد (ص) نفسه بستمني الایجاز واحيانا على وجه متداخل ومن ذلك اراد المؤمنون ان يتعرفوا خبرا قريبا فلا شك انه اثار فضولهم وتطلعهم العلمي الى حد ابعد من البيان الدقيق عن التشريعات الفقهية ، وقد طابق الطلب عرض غزير ، فقد وجدت طائفه من علماء الكتاب الفضوليين الذين سدوا ثغرات القرآن بما تعلموه من اتصالهم باليهود والنصارى وأتموا ما تلقوه عنهم من القصص التي كثيرا ما رددوها عن سوء فهم بنتائج خيالهم الخاص وارسلوا كل ذلك على انه تفسير للقرآن ٠٠٠٠ »^(٢)

وعليه فأن اولئك القصاصين الذين بدأوا حلقاتهم الاولى في المساجد كانوا قد اتخذوا من الوعظ والارشاد سبيلا لهم . وكانت معظم قصصهم يلعب فيها الخيال دورا هاما . فكانوا يعظون المسلمين ويقصون عليهم حكايات عن الجنة والنار والحياة الآخرة وما يجب ان يفعله الانسان لكي يصبح من يستحقون الجنة ثم يفسرون القرآن تفسيرات قصصية غاية في الطراقة ، لا تبدو فيها سوى المسحة الخيالية والاسطورية . كقصص الخلية ، وابداء الكون ، والعرش ، والقلم ، واللوح ، والطوفان وما الى ذلك من قصص اوردها القرآن تلميحا وايجازا .

ذكر البلخي رواية يرفعها الى ابن عباس قال : - قيل سألت بنو

(١) خلف الله - الفن القصصي ، ص ٣٥

(٢) جولد تسيمر - مذهب التفسير الاسلامي ، ص ٧٥

(٣) البلخي « المقدسي » - البدء والتاريخ ج ٢ ص ٥٥ - ٥٦

سرائيل موسى : — مذکم خلق الله الدنيا ؟ فقال موسى : — يا رب اما تسمع ما يقول عبادك ، فأوحى الله اليه اني خلقت اربعة عشر الف مدينة من فضة وملائتها خردا ، وخلقت لها طيرا ، وجعلت رزقه كل يوم حبة من ذلك الخردل ، فأكل الخردل حتى فنى ما في الخزان ثم خلقت الدنيا . فقيل لابن عباس : فأين كان عرشه ؟ قال : — على الماء ، قيل فأين كان الماء ؟ قال : — على متن الريح .

على ان القریزی يورد رواية اخرى في هذا الخصوص ، وهي بحد ذاتها واضحة ويبدو ان القصاص الرؤا قد اخذوا هذه القصة عن بنی اسرائل على علاقتها دون التمييظ فيها ومناقشة مدى صحتها . فقال : — روي ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة ، منهم الظم والرم ، والجن والبن ، والحسن والبن ، وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ، ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعاشووا وسفكوا الدماء فأنزل الله اليهم جندا من الملائكة فاتوا على اكثراهم قتلا واسرا^(١) .

واستمر القصاص يقصون قصصهم ومواعظهم على هذه الشاكلة ، وكان مما تطرقوا اليه ذكر اللوح والقلم والعرش وغيره من روایات . فأبو هريرة مثلاً يروي عن النبي ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم من نور ووجوههم من نور ، ليسوا بآنياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا يا رسول الله صفهم لنا : — فقال : هم المتحابون في الله ، والمتجلسون في الله ، والمتزاورون في الله^(٢) .

والواقع اتنا لو امعنا النظر مليا في الاقصوصة آفة الذكر ، وتبينا معناها ، وتلمسنا الدوافع التي دعت رواتها في تشبيتها بشكلها السابق على ما فيها من بعد عن الحقيقة والواقع ، لا تضح لنا جليا بأنهم ربما كانوا مدفوعين بدوافع خيرة قد يكون الاثر الديني قد لعب دورا هاما في ذلك .

(١) القریزی — الخطط ، ج ٢ ص ١٢

(٢) جولد تسیہر — مذهب التفسیر الاسلامی ، ص ١٦٨

فهم يريدون مثلا توجيه الناس نحو مثل وقيم خيرة نبيلة كالتحابب والمحالسة والتزاور في الله والعمل على تركيزها في نفوس المسلمين باعتبارها امور طيبة ومناقب حميدة ولا ضير من ذلك – على ما يبدو – من نسبة تلك الروايات واضرابها الى الرسول الكريم لكي يصبح الغير ذا سند قوي مهيب له وقعي في نفوس المسلمين .

ومما يلاحظ هنا ايضا ان بعض الكتاب والمؤرخين المسلمين غير متاكدين من بعض الامور التي ترد في اقاصلهم واخبارهم التي يروونها فالبلخي مثلا عندما يتكلم عن العرش وحملته ، وكيف ان الملائكة قد خلقوا للقيام بتلك المهمة ، يشكك مثلا فيما ورد من وصف لاقدارها واجسامها ، فقد جاء في الرواية عن اولئك الملائكة بأنهم اليوم اربعة : – وجه احدهم على صورة وجه النسر ، والثاني كوجه الاسد ، والثالث كوجه الثور ، والرابع كوجه الرجل : فاذا كان يوم القيمة ضمت اليهم اربعة اخرى ، قوله تعالى : – « ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية » ، وفي رواية ابن اسحاق ان رسول الله (ص) انسد قول امية بن ابي الصلت : –

حبس السرافيل الصوابي تحته
لا واهن منهم ولا مستوغم
رجل وثور تحت رجل يسينه
والنسر للآخرى وليث مرسد

فقال عليه السلام : – سدق هكذا الرواية والله اعلم بصدقها ٠٠»^(١)
نظرة بسيطة على هذه القصة الساذجة ترينا المدى بعيد الذى
وصلت اليه القصة بما تضمنته من خيالات اسطورية ونظرات شعوذة ،
ولا غرو فسنرى اغرب من هذا واكثر ، ولذا تقول : – ما الذي حدا

(١) البلخي « المقدسى » + البدء والتاريخ ، ج ١ « ص ١٦٧ »

به تعالى لأن يخلق هؤلاء الملائكة — لو صحت الاسطورة — على الشاكلة التي سردها لنا الرواية !!! ، بل ولماذا هذا التغاير في الاجناس ، بحل ٠٠ وثور ٠٠ ؟؟ وما الى ذلك من خزعبلات ، ثم لماذا كان القصاصين يأخذون هذه وتلك بينما يأخذون الصحة ؟ وإذا كان الامر هو العكس فلماذا كانوا يقصونها على المسلمين !!

على ان الواضح في الرواية هو التشكيك الوارد فيها حيث جاء في نهايتها : — « والله اعلم بصدقها » ، وهو على ما يبدو ان الرواية انفسهم لا يستطيعون ان يعطوا رأيا قاطعا في مدى صحة ما يروون وما يقصون .

ولم تقف خيلات القصاصين الاسطورية عند هذا الحد فحسب ، بل تعدى ذلك الى ابعد منه ، فأخذوا مثلا يقصون بصدق قوله تعالى : — « ن والعلم وما يسطرون » ، وفي وسف القلم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ما يخرج عن نطاق المعمول من التفكير وربما كان للشنافات الدينية القديمة اثرا في ذلك ومصدرا هاما . فالبلخي مثلا يروي في هذاخصوص^(١) ان القلم طوله ما بين السماء والارض ، وانه خلق من نور ، وفي صفة اللوح انه محفوظ طوله ما بين السماء والارض ، وعرضه ما بين الشرق والغرب معقود بـ لعرش ، يصك ما بين عيني اسرافيل وهو اقرب الملائكة الى العرش . فإذا اراد الله تبارك وتعالى ان يحدث منه خلقه شيئا ، قرع اللوح جبهة اسرافيل فأطلع فيه فإذا فيه ما اراد الله تعالى ، يقول الله : « يسحو الله ما يشاء ويثبت وعنه ام الكتاب » فيأمر به جبرائيل او من يليه من الملائكة » .

لا شك ان القصة اعلاه فيها من الامور ما يدعو الى التساؤل والاستفهام وبالتالي الى الشك ٠٠ !!!

نعود ثانية وتقول : — ان مسألة البدء والخلقة وخلق الكون بما

(١) البلخي « المقدسي » — البدء والتاريخ ، ج ١ ص ١٦٢ وما بعدها .

فيه من مخلوقات وعجائب كان الشغل الشاغل الذي ذهب فيه قوم
كثيرون ، وقصاص اكثراً ، يفسرون الآيات الواردة بهذا الخصوص ،
والقصص المذكورة والتلميحات الجائحة في القرآن ، بتفسيرات كيفية
مضافاً إليها بعض الاراء الغريبة والخيالات المريبة التي تضفي عليها
— كما اسلفنا — مسحة اسطورية ، ولنأخذ مثلاً ما اورده البلخي عن
الحسن بن هشام عن ابن عباس قوله : — اول ما خلق الله من شيء القلم ،
قال اكتب ، فقال : اي رب وما اكتب ؟ قال : — القدر ، فجرى القلم بما
هو كائن من ذلك اليوم الى يوم القيمة ، وقال : ثم خلق النون ، فدحى
الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات فاضطربت النون
فمارت الارض فأثبتت الجبال ، وان الجبال تفخر على الارض يوم
القيمة^(١) .

اما الطبرى فيزيد على تلك الرواية شيئاً غير ما لاحظناه فيقول : —
وفي يومي الاحد والاثنين خلق الله الارض على حوت^(٢) ، والحوت هو
النون الذي ذكره الله عز وجل في القرآن « ن والقلم » ، والحوت في
الماء ، والماء على ظهر صفة ، والصفة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ،
والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا
في الارض ، فتحرك الحوت ، فاضطرب فتزلت الارض فأرسى عليها

(١) البلخي « المقدسى » — البدء والتاريخ ، ج ١ ص ١٤٦ ، ص ١٤٧

(٢) اسم الحوت « لوتيا » وكتبه « بلهوت » ولقبه « بهمoot » ، فوضع
الصخرة على ظهره وسائر جسده خال ، والحوت على البحر ،
والبحر على متن الريح ، والريح على القدرة ، وثقل الدنيا وما عليها
حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت ، فذلك قوله
عز وجل : — « انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » .

راجع ذلك مفصلاً : — الشعبي — قصص الانبياء « انرائى »
ص ٤ . كذلك راجع : ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٢٣ — ٢٤ ففيها
اقاصيص وتعليقات طريفة .

الجبال فقرتها ، فالجبال تفخر على الارض ، فذلك قوله تعالى : — « القى
في الارض روايي ان تسيد بكم ٠٠٠ »^(١) .

هذا وما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان المؤرخين المسلمين
تفننوا في ابتداع المسميات واطلاق الكلن على ما يقصون بخصوص
الحوت التي يقصدون بها النون الذي ورد ذكره في التنزيل الحكيم ٠
وهي بلا منازع اقاصيص وروايات بالغة السخف والتفاهة فلندقق مثلا
فيما اورده الثعلبي والذي مر معنا قبل قليل بقوله : — ان اسم الحوت
هو « لوتيا » ، وكتيته « بلهوت » ٠٠٠ الخ ٠ ترى كم هو مبلغ البساطة
والسذاجة في هذه الرواية ، ولكن دعنا من ذلك فهناك شيء آخر نود ان
نضيفه في هذا الباب وهو القصص والروايات والاخبار التي وردت
بأشكال شتى وكلها تتضمن امورا مختلفة ، وبالاخص ما يتعلق منها في
زمان خلق الله الارض وتصويره المخلوقات واحلاله ايها الكون وكيفية
ذلك ٠

ومن هذه مثلا ما يرويه الطبرى من ان اليهود اتى النبي (ص)
فسألته عن خلق السموات والارض ، فقال : — خلق الله الارض يوم
الاحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق
يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن وال عمران والخراب بهذه اربعة قال : « أئنكم
لتکفرون بالذى خلق الارض في يومين ، وتجعلون له اندادا ذلك رب
العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام سواء للسائلين » ، قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم
الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلث ساعات تبين منه

(١) الطبرى — تاريخ الامم والملوك ، ج ١ ص ٣٥ وما بعدها . كذلك راجع
ياقوت الحموي — معجم البلدان ، ج ١ ص ١٣ وما بعدها — الباب
الاول في صفة الارض وما فيها .

فخلق في اول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال ، من يحيا ومن يموت ،
 وفي الثانية القى الآله على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة خلق
 آدم واسكنته الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر ساعة ؛
 ثم قالت اليهود : — ثم ماذا يا محمد ؟ قال : — ثم استوى على العرش ،
 قالوا : — لقد اصبت لو اتممت ، قالوا : — ثم استراح فغضب النبي (ص)
 غضبا شديدا فنزلت الآية : — « ولقد خلقنا السموات والارض وما
 بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون »^(١) .
 ولو امعنا النظر في هذه الاقصوصة ، للاحظنا انها وان كانت قد
 وردت في كتاب الطبرى ، الا انه من الواضح لدينا تماما ان الطبرى
 كعادته لا يعطي رأيه في كل رواية او خبر يورده ، وهذا لا بد ان يقول :-
 هل ان اليهود جاؤا الى النبي مستحيدين ام مستفسرين ؟ ثم كيف ان النبي
 الذى اورد كل هذه المعلومات على عالاتها كما وردت في الرواية - وان
 كانت تكتفى معظمها خيالات اسطورية - لم يستطع في النهاية ان يكسل
 او ان يفي السؤال جوابا شافيا حتى انه يثور ويغضب من كلام اليهود !!
 اضف الى ذلك ان الآية صريحة : بأن الخلق قد تم خلال ستة ايام ، وان
 الارض في يومين ٠٠٠ الخ . ولكن كيف يمكن الوقوف على صحة بقية
 المعلومات التى روتها لنا القصة لا سيما وانها دارت بين الرسول من
 جهة ، وجماعة من خصومه - وهم اليهود - من جهة اخرى ، وقد تكون
 منتحلة على الرسول ومستقاة من كتب واسفار العهد القديم وهذا
 شائع وكثير^(٢) .

(١) الطبرى — تاريخ الامم والملوک ، ج ١ ص ١٤ — ١٥
 البلخي « المقدسى » — البدء والتاريخ ، ج ٢ ص ٥٣

(٢) لقد اورد الكتاب المقدس في الفصلين الاول والثانى من سفر التكوين
 اشیاء كثيرة عن هذا الموضوع ، اي فيما يتعلق بعملية الخلق ، والايام
 التي استغرقتها وتفاصيل ذلك وهو مقارب جدا لما اوردته الطبرى
 اعلاه في روايته .

الحقيقة اتنا لو تبعنا هذا اللون من القصص لاستطعنا ان تلمس امورا كثيرة وخصوصا ما يتعلق منها بالتأثيرات الدينية القديمة . فالثقافة اليهودية مثلا ، استمدادا الى ما جاء في التوراة وفي المزامير والاسرائيليات تعتبر المعين الدافع الذي نهل منه بعض رواة الاسلام او تأثروا ببعض الحكايات اليهودية بأسلوب او باخر . فقصص الخلقة والبدء والتكون تتعجب بالفڈلکات اليهودية التي طبعت كثيرا من الروايات الاسلامية ، ولهذا نرى اصولها واضحة في كتب العهد القديم .

فالطبرى مثلا ينقل لنا رواية مرفوعة السند الى ابي هريرة يقص فيها هذا خبر خلق الله العالم وكيفية ذلك والايمان التي استغرقها عملية الخلق فيقول : — اخذ رسول الله بيدي ، فقال : — خلق الله التربة في يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة . آخر خلق خلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر والليل^(١) .

نظرة واحدة على هذه الرواية ترينا مدى التفكك في الاسلوب والمفسرون اضف الى ذلك انها اوردت اشياء معنوية وقد اعطتها الراوى يوما كاملا لخلقها كالمكروه مثلا والذي لا يجوز للمرء قطعا ان يتسبب حدوثه للخالق تعالى ، وكأنني به متأثرا بنظرته هذه بنظرية اولئك الذين يعتقدون بالخير والشر .. الخ . طبعي الامر لا يعدو كون القاص اراد ان يضفي على ما سلطته مخيته من اساطير صفة الصحة والشرعية بأن نسبة الى النبي (ص) والنبي منها براء . الواقع فأن قصص الخلقة كثيرة وكثيرة جدا ، فمعظم الكتب الاسلامية المهمة ملأى بسخائف الحكايات والروايات في هذا الباب ،

(١) الطبرى — تاريخ الامم والملوك ، ج ١ ص ١٥

فقد آلت علينا القصوصة طريقة عن خلق السموات والارض وكيفية ذلك وقد تخللتها تعليقات بعض الضواهر الطبيعية كالرعد مثلا وغير ذلك من الشروح والايضاحات التي وضعت توضيحا لبعض الآيات القرآنية مما يدل بجلاء على البساطة في التفكير والسداجة في التأويل . والقصوصة هذه تقول ان الله تعالى لما اراد ان يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء اضعف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة ، فصارت ماء ، ثم نظر الى الماء فعلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار وارعد من خشية الله ، فمن ذلك اليوم يرعد انى يوم القيمة ، وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي دخان » اي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء « مكة » فدعا الله الارض من تحتها فلذلك سيت ام الفرى يعني اصلها ، وهو قوله تعالى : « والارض بعد ذلك دحها » ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيরها سبعا وذلك قوله تعالى : « او لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقتناهما » ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه ، احدي يديه في المشرق والآخر في المغرب باسطنطين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون الف قرن واربعون الف قائمة ، وجعل قرار قدمي الملك على سمامه فلم تستقر قدماه فاصدر الله ياقوته خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائه عام فوضعها بين سمام الثور الى اذنه ، فاستقرت عليها قدماه وقوون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر

وهو يتفسس كل يوم نفساً ، فإذا تنفس مد البحر ، وإذا رد نفسه جزراً
ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار ، فخلق الله تعالى صخرة خضراً
غلظها كغلوظ سبع سوات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور
عليها »^(١) .

الحقيقة أن هذه الرواية وامثلها ليست بحاجة إلى كبير عناء
فمضمونها واضح واسلوبها الذي تعافه النفوس بمحتواه وينفر منه
المنطق امر لا يحتاج الى تعليق .

اما بخصوص العرش – وقد مر الكلام عنه قبلًا – وردت حوله
قصص شتى من ذلك ما اوردته الطبرى عن عبد الصمد بن مقل ق قال
هذا : – سمعت وهب بن منبه يقول : – ان العرش كان قبل ان يخلق
السموات والارض على الماء ، فلما اراد ان يخلق السموات والارض
قبض من صفة الماء قبضة ثم فتح القبضة فارتقت دخانًا ثم قضاهن
سبعين سمات في يومين ودحا الارض في يومين وفرغ من الخلق اليوم
السابع ^(٢) .

هذا وما تجدر الاشارة اليه خبر لاحظته في العهد القديم يتعلق
في كيفية خلق الله تعالى حواء وكيف وجدها آدم بجانبه دون سابق
معرفة ومن ثم احتضنها وسكن إليها وقد وردت على النحو التالي : –
« فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام ، فاستل احدى اضلاعه
وسد مكانها بلحيم ، وبنى الرب الإله الفصل التي اخذها من آدم امراة فاتى
بها آدم . فقال آدم : – هؤذا هذه المررة عظم من عظامي ، ولحيم من لحمي .

(١) الشعبي – قصص الانبياء « العرائس » ، ص ٣

ياقوت الحموي – معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٣

(٢) الطبرى – تاريخ الامم والملوك ، ج ١ ص ٢٦ ، ص ١٥ ، ص ٢٥ ، ص ٣٠ .

هذه تسمى امرأة ، لأنها من أمراء اخذت ، ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امراته ، فيصيّر ان جسدا واحدا ، وكانوا كلّا هما عربانين وامرأتهم وهما لا يخلان))(١) .

ولقد اورد البخري رواية في هذا الخصوص تطابق تلك التي اوردتها التوراة روحًا ونصًا وهي تقول : -

« وفي الحديث أن الله تعالى لما خلق آدم القى عليه النوم ، فأخذ ضلعا من اضلاعه من شته الايسر ، ولأم بينهما ، وآدم نائم ثم لم يهب فخلق زوجته ، فلما هب رأها الى جنبه فقال : - لحمي ودمي وروحني فسكن اليها »^(٢) .

وبعد الامغان في هاتين الروايتين الا يتبادر الى اذهاننا الصلة المشتركة التي تتمثل في كل من الروايتين ، واعني به المعنى الواحد الذي تشتراكان فيه ، زد على ذلك الالفاظ المشتركة والمتطابقة التي وردت في كلتيهما . الا يعني ان احدهما استقى وتأثر بالآخر ؟ ولما كانت الرواية الاولى هي اقدم من الثانية لورودها في الكتاب المقدس ، كانت

(١) الكتاب المقدس ، ج ١ ص ٧ الفصل الثاني من سفر التكوين .

(٢) البلاخي «المقدس» — البدء والتاريخ ، ج ٢ ص ٨٦
 لقد اورد الشعلبي : ان آدم عندما نام أخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه الإيسر يقال له (القصبيي) ، فخلق منه حواء ، وبعد أن افاق من نومه وجدها جالسة عند رأسه ، فقالت له الملائكة : — ما اسمها ؟ قال : — حواء . قالوا : — صدقت ، ولم سميت حواء بذلك ؟ قال : — لأنها خلقت من شيء حي ، ومن ثم يتبع ذلك يقول ينسبه للرسول وهو : « خلقت المرأة من ضلع اعوج فان تقمها تكسرها ، وان تتركها تستمتع بها على عوجها » . — راجع ذلك في : — الشعلبي — قصص الانبياء «العرائس» ، ص ١٩

الثانية قد جاءت على لسان رواة ومخبرين مسلمين ولكن — بالطبع — مصدرها لم يكن اسلامياً للسبب آنف الذكر .
وعليه فهذا دليل آخر يثبت ان معظم بل غالبية الاقصاصين والاخبار التي نقلها الرواة المسلمون بهذا الخصوص والتي على غرارها كانت متزوجة بعض الاساطير التي كثيرة ما وردت في الكتب المقدسة القديمة .

والواقع فأنتا نلاحظ ذلك وامثاله بشكل واسع بالرغم مما يروي عن النبي في هذا الخصوص قوله : — اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقونهم ولا تكذبواهم ، والخبر هذا ان تتحقق صدقه او عدمه فهو واضح مبني ومعنى الا ان العمل كان على غير ذلك ، فأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم ولم يتخرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من اخذ قولهم ^(١) .

هذا وبمناسبة ذكر آدم فقد رویت عنه اقصاص وروايات شتى في صفتة و هو بوطه من السماء و اسباب ذلك ، وكلها كما اسلفت كسوابتها كانت من وحي الخيال مشوبة بأساطير الاولين .
فمما روی عن النبي انه قال ^(٢) : — ان اباكم آدم كان طويلا

(١) احمد امين — فجر الاسلام ، ج ١ ص ٢٤٨

(٢) البلخي « المقدسي » — البدء والتاريخ ، ج ٢ ص ٩٩ ، الطبرى — تاريخ الامم والملوک ، ج ١ ص ٨٢ ، ص ١٠٩

واما مسألة اخذ الذرية من آدم فقد اورد الطبرى في تاريخه ج ١ ص ٩١ رواية جاءت تفسيراً لقوله تعالى : « واخذ ربكم من بي آدم من ظهورهم ذريتهم » : — « انه لما خلق الله عز وجل آدم اخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضته وقال لاصحاب اليمين ادخلوا الجنة سلام ، وقال للآخرين ادخلوا النار ولا ابابي » وكان الله قد خلق البشر اشراراً واخياراً منذ ان خلقهم وكان الاعمال الصالحة ، والاخلاق الحميدة والسلوك الحسن في الحياة الدنيا لا تنفع المرء ولا تجديه شيئاً لانه اما في الجنة واما في النار وقد وضع له مصيره مسبقاً وهذا لا يجوز بل انما هو انتقاد من صفات البارى عز وجل .

كان نخلة السحوق ستين ذراعا ، كثير الشعر ، مواري العورة وان كان لم أكل الحنطة بدت عورته فخرج هاربا من الجنة ، فتلقته شجرة فأخذت بناصيته وناداه ربه : افرارا مني يا آدم ؟ قال : لا يارب ولكن حياء منك ، فاهبطه الله الى الارض ، فلما حضرته الوفاة بعث بحنوطه وكفنه من الجنة . رواه ابن اسحاق عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي (ص) وأما ما قيل عن هامته كانت تمس النساء فمن ذلك الصلع ، وان الملائكة كانوا يتذمرون مخشاه فشكوه الى الله تعالى فبعث جبرائيل بهمزه همزة طأطاً منه الى ستين .

ولست ادري كيف ربوا مثل هذه القصص التي تخص شخصية مضى عليها عدة الاف من السنين !! ان وصفا دقينا اسطوريأ مثل هذا الوصف لا اعتقاد ان نبيا من الانبياء تجرا على وصفه ، ثم ومن يدرى ان آدم كنت هامته تمس النساء ؟ وما هي وجهة تفسير ذلك بالصلع !! وهل ان النبي (ص) تفرغ من كل اعماله وواجباته المقدسة ووقته الشمين والذي كان يصرفه دوما في مراعاة شؤون الامة والشعب من الوجهتين الدينية والدنيوية ولتشييت دعائم الدين الجديد ، حتى انه يبدأ يبحث مثل هذا القصص المبتذل السخيف الذي لا يمكن ان يصدر عن نبي كريم – وحاشاه من ذلك – ولذا فأن امكانية نسبة مثل هذه الروايات ، وهذه الاخبار الى النبي مغالطة كبيرة ، بل ما هو الا محض افتراء وتلفيق .

والواقع اننا لو تبعنا ما ورد في هذا الخصوص عن آدم من افاصيص وحكايات اسطورية لحار العقل بها ، لكثره ما ورد في ذلك من جهة ، وبعد ذلك عن الحقيقة والواقع من جهة اخرى .

لا شك اننا بعد هذه النظرة الاستعراضية التي القيناها على بعض
القصص التي وردت تأويلاً وتفسيراً لكثير من الامور التي اما جاءت
لها اشارات في القرآن الكريم او رویت نقلة عن النبي وما تخلل تلك
الحكايات والروايات من افكار غريبة تدل دلاله واضحة على اصولها
وتأثيراتها التي هي دون ريب انتقلت مع حاملي تلك الثقافات وبالاخص
لوئلئ الدين كانوا قد شبعوا قبل اسلامهم بأفكار واخبار المهد القديم
كوهب بن منبه مثلاً او كعب الاخبار وما الى ذلك من القصاص والرواية
الاولى .

وعليه اصبح بامكانتنا الان ان نرسم صورة واضحة لنشأة تلك
القصص واصولها وكيف انها استخدمت بادىء الامر لاغراض دينية
او قل لشرح بعض الامور التي اريد لها ان توضح او تخدم الدين
الجديد ، الا انها ادخلت على المسلمين كثيراً من اساطير الامم الأخرى
كاليهودية والنصرانية كما كانت باباً دخل منها على الحديث كذب كثير
وافسد التاريخ بما تسرب منه حكاية وقائع وحوادث مزيفة انبعث الناقد
واضاعت معالم الحق .

على ان اكثر ما يلفت النظر ويسترعى الانتباه هو ان معظم لوئلئ
القصاص كوهب بن منبه وكعب الاخبار وتميم الداري واضرائهم هم
كتابيون وهم من جنوب الجزيرة العربية من اليمن . دخلوا الاسلام
فيما بعد وكافوا قبلة تلقوا علومهم وثقافاتهم في اليمن بلد الحضارة
والمدنية ومهد المدارس اليهودية . وقد يشير اكثر من سؤال موضوع
الاخبار التي كانت ترد عن يهود اليمن وكثرة ما يرد عنهم وعن ثقافاتهم
وقصصهم على العكس مما كان يروي عن يهود الحجاز ، وهذا على ما
يبدو يعود الى كثرة ما كان موجوداً من المدارس اليهودية في اليمن
عنه في الحجاز — وهذه المدارس اليمنية ثابتة تاريخياً — فكان من نتيجة

ذلك انتشار الثقافة اليهودية في اليمن بما فيها من شروح للتوراة واساطير ونحو ذلك على نمط أوسع مما كان ليهود الحجاز ، فلما دخل يهود اليمن في الاسلام رروا ما تعلمو فكان لهم اكبر الاثر^(١) .

والآن لننظر الى لون جديد من القصص الطريف المضحكة الذي يدل بوضوح على انحدار القصص الى مستوى غير محترم بعد ان كان يسمى الى غايات نبيلة هدفها خدمة الدين وتوضيح مبادئه واخلاقيته للناس كافة . فقد ورد في كتاب الطبرى بخصوص تفسير قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » . تفسيرات وروايات باطلة من اساسها ومن اطرافها واسخفها قوله : — قال : « علمه اسم كل شيء حتى الفسفة والفسية » وفي حديث رواه بعده يرفعه الى ابن عباس ايضا يضاف له : —

« وعلمه كل شيء حتى الهيئة والهنية ، والفسفة والفسية والضرطة » (٢) . وقس على ذلك من روايات مضحكة لا تمت للقرآن ولا للإسلام ولا للحقيقة في شيء وما هي الا اساطير الاولين . ومتى يلاحظ ان بعض الناس يصلح ويزعم ان الله تعالى علم آدم كل شيء كان ويكون ، وعرض صور هذه الاشياء ما كان موجودا وما سيوجد ، وان آدم سمي كل شيء بأسمه . وهذه مبالغة غير مقبولة ، على ان الرأي الذي يسكن الركون اليه : انه سمي الاشياء التي وقع عليها حسه ، ومنها الطيسور والبهائم وكل انواع الحيوان الموجودة هناك بالنظر لاحتياجه اليها . ومعلوم ان معرفة آدم لهذه الاشياء في طعامه وشرابه وسائر ما يتلذذ به امر معقول وصحيح . اذ ان الحاجة تقتضي الحيلة ، ويشهد لما ذهبت اليه قوله تعالى : « فقال انبئوني بأسماء هؤلاء » والاشاره للمرئي

(١) احمد امين — فجر الاسلام ، ج ١ ص ١٩٩

(٢) الطبرى — تاريخ الامم والملوك ، ج ١ ص ٦٥

الحاضر . وتكلف انه صور له ما كان وما يكون ، وأشار اليه ، تحمل
لما فيه ما لا تتحمله ^(١) .

ومما كان يلجم اليه القصاص في توضيح بعض القصص التاريخي
الذى ورد في القرآن الكريم ، هو ما جاء في اخبار رويت مثلا عن
ياجوج وماجوج ، اذ يجد المرء نفسه امام سيل متافق من اساطير
وحكايات هنا وهناك ، لعب الخيال فيها دوره ، والتهويل والبالغة كان
طابعها دوما ^٠

يدرك البلخي في هذا الموضوع عن الزهرى ، رواية بخصوص
ياجوج وماجوج ، فهو يقسمهم الى ثلاث امم : - « منك ، وتأويل ،
وتدریس » فصنف منهم مثال الارز والشجر الطوال ، وصنف منهم
عرض احدهم وطوله سواء ، وصنف منهم يفترش احدى اذيه ويلتحف
بالآخرى ^(٢) .

والانكى من ذلك واكثرها غرابة وطرافة ، هو ما رواه البلخي
ايضا ان طول احدهم شبر واكثر ، ويكون خروجهم بعد قتل عيسى
الدجال ، ونذا جاء الوقت جعل الله السد دكا كما يذكر فيخرجون .
وعلى ذكر وهب بن منبه ، الذي يعتبر كما اسلفنا علما من اعلام
الرواية والقصة في الاسلام ، نظرا لكثرة ما روى وغرابة ما قص فما
كان يقص الناس به مثلا ما يخص يوم القيمة والبعث ، وكيف ، ان آدم
يقوم بتصنيف البشر ، فاذا كان يوم القيمة وحشروا الخلائق لفصل
القضاء قيل لآدم قم وابعث بعشا الى الجنة ، وابعث بعشا الى النار ،

(١) النجار - قصص الانبياء ، ص ٥ - ٦
كذلك : - جاد المولى ورفاقه « قصص القرآن » ، ص ٢ - ٣

(٢) الكسائي - قصص الانبياء ، ج ٢ ص ٥٩ - ٦٠

فيعرفهم آدم بسيماهم كما رأهم في الدنيا ، فيصبح صيحة لا يبقى احد في الموقف الا وسمعها فيقبل عليهم ويقول لهم انساً ميت عهد ربكم وشهادتكم له بأنه الواحد القهار ، فيقولون انا كنا عن هذا غافلين ، او يقولون انما اشرك آباءنا من قبل ، يعنيون به قايل لاته اول من عصى ربه وقتل اخاه هابيل ، ثم يصيحون صيحة ويقولون ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلها تحت اقدامنا ليكونوا من الاسفلين ، يعنيون ابليس وقابليل بن آدم فعند ذلك يقبض آدم بشماله تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد يمينه الى الجنة ثم يقول آدم : يا رب هل وفيت ما امرت به ، فيقال له : — نعم فأدخل الجنة برحمتي ^(١) ٠

واما مسألة اخذ الذرية من آدم فقد اورد الطبرى رواية جاءت تفسيرا لقوله تعالى : « واخذ ربك من يني آدم من ظهورهم ذريتهم » ((انه لما خلق الله عز وجل آدم اخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضته وقال لاصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين ادخلوا النار ولا ابالي)) ^(٢) وكان الله قد خلق البشر اشرارا واخيارا منذ ان خلقهم ، وكان الاعمال الصالحة والاخلاق الحميدة والسلوك الحسن في الحياة الدنيا لا تنفع المرء ولا تعجيه شيئا لانه اما في الجنة واما في النار وقد وضع له مصيره مسبقا وهذا لا يجوز بل اما هو اتقاص من صفات الباري جل وعلا ٠

ومن الحكايات والروايات العجيبة الغريبة التي وردت في خلق آدم ما رواه وهب بن منبه ، وهو ان الله خلق آدم فرأسه من الارض الاولى وعنقه من الثانية ، وصدره من الثالثة ويداه من الرابعة وبطنه وظهره من الخامسة وعجزه وفخداه من السادسة وساقاه وقدماه من

(١) الكسائي — قصص الانبياء ج ٢ ص ٥٩ — ٦٠

(٢) الطبرى — تاريخ الامم والملوك ، ج ١ ص ٩١

السابعة ، وسماء آدم لانه خلقه من اديم الارض^(١) .

والرواية ليست بحاجة الى كبير عناء ، وعميق تفكير لأنها واضحة
بسخف تركيبها وتفاهة محتواها .

ان الملامة بسيطة عن وهب بن منبه هذا ، تلقي لنا ضوء كشافا عن
حقيقة هذا القاص الذي روى عن النبي والصحابة اخبارا وروايات غایة
في الغرابة ، فهو قبل كل شيء يهودي النشأة والنسب كما تذكره كتب
التاريخ – وسيرد معنا ذلك فيما بعد – وانه من يهود الجنوب اسلم
على يد النبي ، ولما دخل الاسلام اخذ يروي احاديث وروايات وقصصا
ومواعظ شتى في التاريخ والنسب والخلية وبكل ما يتعلق بأمور
الكون . وطبعي انه قبل كل شيء كان قد تشبع باديء ذي بدء بقصص
بني اسرائيل وبالثقافة الاسرائيلية ، ولا بد ان يكون لهذا صدى فيما
يروي ويخبر عنه . وهذا ما يستشف من روايته تلك وامثالها والتي
يورد فيها امورا لا يمكن ان تستظل من الحقيقة بشيء ولهذا نجد انه
كان لثقافته السابقة انعكاس واضح فيما يروي .

هذا ولا بد لنا من ان نستعرض المقالة الممتازة للدكتور محمد
احمد خلف الله التي بحث فيها موضوع الوظيفة الفنية للقصة
القرآنية^(٢) . الواقع فأن من الثابت ملاحظة ما مر معنا سابقا من ان
القرآن كان قد ادخل بقصصه التاريخية المسوقه للعبرة فنا من الفنون
الجديدة في الادب العربي ذلك هو فن القصة . والحقيقة فأن القصص
القرآنی بصورة عامة له وظائف فنية هامة نجملها فيما يأتي :

(١) الكسائي – قصص الانبياء ، ج ٢ ص ٢٣ – ٢٤

(٢) لقد اعتمدنا في مادة هذا الجزء من البحث على المقالة المنشورة في مجلة
القصة المصرية العدد السابع – يوليو ١٩٦٤ انظر : – خلف الله –
الوظيفة الفنية ص ١٤٣ – ١٥٦

١ - ان ابرز هذه الوظائف واهما من وجهة نظر القرآن نفسه تخفيف الضغط العاطفي عن النبي وعن المؤمنين ، ولقد كذب هذا الضغط قوياً عنيفاً ، وكانت اسبابه واضحة . فلقد كانت اقوال المشركين واعمالهم التي يكيدون بها للنبي والقرآن الكريم والدعوة الاسلامية هي السبب في كل هذا الذي دفع النبي الى اذ يضيق . ومن ذلك قوله تعالى : -

« قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لا يكتبون ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون » .

ولقد كانت عملية القصص في مثل هذه الظروف من العمليات التي يقصد من ورائها القرآن تثبيت قلب النبي وقلوب المؤمنين ، ورد الثقة الى انفسهم ، وبث الطمأنينة في قلوبهم وازالة الهم والقلق . وكانت النتيجة لكل هذا هي ذلك الصبر انطويل والثبات الذي وصل بهم في النهاية الى النصر على الاعداء والمعارضين . على ان القرآن نفسه قد صرخ بهذا الغرض حين قال : -

« وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » .

٢ - وهناك وظيفة لا تقل اهمية عن سابقتها ، تلك هي عملية توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الاسلامي ومبادئه ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق ، وكل ما هو خير وكل ما هو جميل . ومن ذلك ، ومن صميم العمل الفني ايضا العمل على تكوين عواطف قوية وصادقة ضد كل ما هو قبيح ودميم من الاشياء والناس . وعند ذلك تتذبذب المبادئ التي شاخت وهرمت واصبحت لا تسير الحياة والاحياء .

اما الاشياء التي حاول القرآن خلق عواطف ضدها فكثيرة متنوعة

نذكر منها مثلا : - تلك التي تتصل بالقيم الخلقية كاللواط وتنفيه المكيال والميزان كما ورد ذلك في قصة شعيب ، ومنها ابليس والشيطان وقصته مع آدم ، ومنها عبادة غير الله كالنجوم والاقمار والآوثان كقصة ابراهيم في سورة الشعرا . ومنها الكبر والاستكبار والاصرار والعناد ، ولعل اربع المواقف القصصية التي تصور موقف المستكبرين من قوم هود وقوم صالح . قال تعالى : -

« فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة ، او لم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون . فارسلنا عليهم ربيعا صررا في ايام نحسات لنتذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون » .

وليس من شك في ان نتيجة العرض القصصي لامثال هذه المواقف يلقي في النفس الخشية والرهبة ، ويبث فيها الخوف عندما تحس ان النتيجة هي العقاب . وليس من نتيجة للخوف سوى الهرب وبالابتعاد عن مصدر العقاب ، وعند ذلك تكون النفرة وتكون الكراهة .

القصاص ونظرية المسلمين اليهم

في الواقع ان القصاص لم يكن مرغوبا فيه ايام الاسلام الاولى ، وكان القصاص يحاربون من قبل العلماء . ثم ان هؤلاء القصاص كانوا قد ظهرت منهم طبقة زاولت القصاص بمقدار مبالغ فيه ، والذى يغلب في نشاطهم عنصر الخيال ، وقد اقترن في الواقع كراهية^(١) حفيد عمر لتفسير القرآن بأنه كان لا يجب ان يستمع الى قاص الجماعة كما سترى .

وقد اسرف هؤلاء الناس بطبيعة الحال في تصوير احوال اليوم الآخر وما استندوه عن ذلك من مصادر الاخبار الاجنبية ، او ما اضافوه من ابتداع خيالهم واصدروا ذلك على انه تفسير موضوع به للقرآن . ولم يكن امامهم سر مستغلق عليهم كما لم يكتف بهم عباء ولا تردادا ان يصونوا ما ربطوه بالقرآن من صور خيالهم على وجه جديس بالتصديق بوساطة استنادهم المضلل الى رجال ثقة معتمد بهم ، فمقاتل مثلما يرجع احيانا في تفسيره الى اسم الضحاك بن مزاحم ، وهو احد الرواة الثقة والذى يذكر مقاتل انه اغترف من كنوز علمه الكثيرة بعد وفاته^(٢) .

والى ابن عباس يرجع مقاتل ايضا في تفسيره للآلية^(٣) من سورة الملك قوله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة » ، فيقول ان الله خلق الموت والحياة جسمين فجعل الموت على هيئة كبش املح لا يمر على شيء ، ولا يجد ريحه شيء الا مات . وجعل الحياة على هيئة فرس

(١) ، (٢) ، (٣) — جولد تسيلر — مذهب التفسير الاسلامي ص ٧٦ — ٧٧

اللقاء وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها ، خطوها مد البصر ، فوق العمارة دون البغل ، لا تمر على شيء ولا تطأ شيئاً ولا تجد ريحها شيء إلا حي وهي التي أخذ السامرائي من ترابها فألقاها على العجل^(١) .

ويستمر « جولد تسيهير » في هذا الموضوع متمماً القصة :-
ويذبح الموت في هيئة كبش يوم القيمة بين الجنة والنار ، ويبقى أهل الطاعة بعد ذلك في الجنة أبداً ، والعصاة في النار أبداً ، وذلك هو الخلود (الآية ٢٨ من سورة الحجر) اي الحياة دون الموت لأن الموت يذبح في هيئة كبش ، وتنميقاً للقصة ذكر أن يحيى بن زكريا هو الذي يتولى عمل الذبح .

وعليه فأن تفسيراً من هذا النوع معتمداً على الأساطير والخرافات أمر مردود ولا يمكن قبوله مطلقاً . الأمر الذي كان نعمة على أولئك القصاصين الذين حاربهم علماء الإسلام الذين كانوا يعتبرون القصاص بدعة وكانوا يخرجون القصاصين من الجامع .

فمن الواضح أن كثيراً من العلماء انحى باللوم على القصاصين والوعاظ كما فعل الغزالي في كتابه الاحياء فقد اعتبر عملهم من منكرات المساجد لما كانوا يقترفون من كذب ، واستثنى الحسن البصري وأمثاله^(٢) في معرض كلامه عن المنكرات والمكرورات في المساجد « هو كلام القصاصين والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة ، فالقاصص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وكذا الوعاظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد اظهار الرد عليه ، أما للكافة القدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه ،

(١) جولد تسيهير — مذهب التفسير الإسلامي ص ٧٦ - ٧٧

(٢) احمد أمين — فجر الإسلام ، ج ١ ص ١٩٩

فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلَا يَجُوزْ سَمَاعُ الْبَدْعَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ :— فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ »^(١) .

وَمَا يَرْوِي أَنَّ ابْنَ عُمَرَ^(٢) جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَجْلِسِهِ فِي الْمَسْجِدِ
فَإِذَا قَصَاصِ يَقْصُ فَقَالَ لَهُ :— قَمْ مِنْ مَجْلِسِي ، فَقَالَ لَهُ :— لَا أَقُومُ
وَقَدْ جَلَسْتَ فِيهِ !! ، وَقَالَ : قَدْ سَبَقْتَنِي إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ ابْنَ عُمَرَ إِلَى
صَاحِبِ الْشَّرْطَةِ فَأَقَامَهُ ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ السَّيِّئَاتِ ، فَمَا حَلَ لِابْنِ عُمَرَ أَنْ
يَقِيمَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ سِيمَا وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ ، وَانَّ ابْنَ عُمَرَ هَذَا
مَشْهُورٌ بِوَرْعَتِهِ وَتَفَاهَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، رَوَى أَنَّ قَاصَا كَانَ يَجْلِسُ بِفَنَاءِ حِجْرِهَا يَقْصُ
فَأَرْسَلَتْ إِلَى ابْنِ عُمَرَ أَنَّ هَذَا قَدْ آذَانِي بِقَصْصِهِ ، وَشَغَلَنِي عَنْ سَبِّحَتِي
قَالَ : فَضَرِبَهُ ابْنُ عُمَرَ حَتَّى كَسَرَ عَصَمَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ طَرَدَهُ ، وَلَيَحْذِرَ أَنْ
يَمْرِ بَيْنَ يَدِيِ الْمُصْلِيِّ وَانَّ كَانَ مَرْوَهُ لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ فَقِيَ الْخَبْرُ لَأَنَّ يَقْفَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْرِ بَيْنَ يَدِيِ الْمُصْلِيِّ^(٣) .

وَمَعَ هَذَا فَإِنَّا نَلَاحِظُ بِوضُوحٍ أَنَّ الْقَصَاصِ ارْتَفَعَ شَأْنُهَا عَلَى
التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ الْاسْلَامِيِّ حَتَّى رَأَيْنَاهُ عَمَلاً رَسِيمًا يُعَهَّدُ بِهِ إِلَى رِجَالٍ
رَسِيمِينَ يُعَطِّونَ عَلَيْهِ اجْرًا . فَنَرِى فِي كِتَابِ الْفَضَّاهِ لِلْكَنْدِيِّ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ
الْفَضَّاهِ كَانُوا يَعِينُونَ قَصَاصِ اِيْضًا ، فَيَقُولُ : أَنَّ اُولَئِكَ هُمُ الْقَصَاصُ بِمَصْرِ
هُوَ سَلِيمَانُ بْنُ عَتَّرَ التَّجَبِيِّ فِي سَنَةِ ٣٨٥ هـ وَجَمِيعُهُ لِلْفَضَّاهِ إِلَى الْقَصَاصِ
ثُمَّ عَزَلَ عَنِ الْفَضَّاهِ وَافْرَدَ بِالْقَصَاصِ^(٤) .

(١) الغزالى - احياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٢١٤

(٢) المكي - قوت القلوب ، ج ٢ ص ١٠٢

(٣) المكي - قوت القلوب ، ج ٢ ص ١٠٢

(٤) احمد امين - فجر الاسلام ، ج ١ ص ١٩٧

لقد اورد الاستاذ جولد تسيهير رواية طريفة نقلها عن كعب الاخبار، هذا الشخص اليهودي الذي اسلم اخيراً والذى تشبعت عقليته بأفكار اسطورية استقاها من كتب العهد القديم . والذى كان من تأثيرها انه اخذ ينحو هذا المنحى الاسطوري في الرواية . والرواية التي نحن بصددها تتلخص في كيفية تضحية ابراهيم باسحاق واعتراض الشيطان ليصدهما عن طاعة الله ، واخيراً عن فداء الذبيح بكبش هبط من الجنة وتضييف الرواية الى ذلك : « ان الله اوحى الى اسحاق – بعد اخفاق الشيطان في مسعاه – اني قد اعطيتك دعوة استجيب لك فيها ، قال اسحاق ، اللهم ادعوك ان تستجيب لي : ايما عبد لقيك من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة » . ومن هذا ، الحديث المروي عن النبي (ص) « كلكم يدخل الجنة الا من ابى وهو لم يقل لا الله الا الله »^(١) .

رأيت كيف اورد هذا المخبر ان الله قد جعل الجنة لـكل من لا يشرك به شيئاً وكفى ، يدخلها دون قيد او شرط ، لا واجبات ولا اعمال خيرة ، وكان من لا يشرك بالله ويسفك الدماء ويرتكب الآثام ويستبيح الحرمات ويظلم ويجرور ويتعنت ويتجبر ويسيء معاملة الغير منزلته عند الله كمنزلة ذلك التقى الورع الظاهر ذي الاخلاق الدمثة الذي يفنى في سبيل مصلحة الآخرين !! وبحسب مضمون الرواية اعلاه فإنهما كلاهما يدخلان الجنة !!! الا يدعو هذا الى السخرية ؟

وقد كان يجتمع في مجلس القصاص والمذكرين والواعظين مؤمن من عهد الحسن الى وقتنا هذا – ما يذكره المكي – وقال بعض علماءنا: كان في البصرة مئة وعشرون متكلماً في الذكر والوعظ^(٢) .

(١) جولد تسيهير – مذهب التفسير الاسلامي ، ص ١٨٠ – ١٨١

(٢) المكي – قوت القلوب ، ج ٢ ص ٣٢

وكان القصاص يجلسون على الكراسي ، وكانوا يعطون بعد صلاة الصبح ، او بعد صلاة الجمعة ٠ ويروى انه كان في مسجد البصرة حلقة واحدة للفقه ، على حين كان للقصاص حلقات كثيرة كانت المساجد تغص بها وكان القصاص هو الذي يتولى القصاص اول الامر ، ثم صار القصاص رجالا ونساء يقصون للعامة القصاص الدينية والاساطير والنواذر في المساجد والطرق ٠ وكان يجتمع اليهم الرجال والنساء ، وقد تبذل بعض القصاص فيما كانوا يقصون على الناس كما سترى فيما بعد ، مما اضطر الخليفة المعتصم ان يصدر اوصامه عام (٣٧٩ هـ - ٨٩٢ م) بالا ي تعد على الطريق ولا في المسجد قاصٍ ولا منجم ولا عراف ، وفي عام ٤٣٨ هـ - ٨٩٨ م جدد هذا الامر^(١) ٠

ولقد رسمت لنا المصادر الاسلامية صورة لهذا القصاص ، وهو اذ يجلس القصاص في المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات واحاديث وقصصا عن الامم الاخرى واساطير ونحو ذلك بشكل

لا يعتمد فيه على الصدق بقدر ما يعتمد فيها على الترغيب والترهيب اما بالنسبة لنوع تلك القصاص ، وما يتعلق بنظرية جمهور المسلمين اليه فذلك ما روی عن الليث بن سعد قوله : - ان القصاص قصاصان : قصاص العامة ، وقصاص الخاصة ، فأما قصاص العامة فهو الذي يجتمع اليه نفر من الناس يعظمهم ويذكرهم بذلك مكرoroه لمن فعله ولمن استمعه ٠

واما قصاص الخاصة فهو الذي جعله معاوية ، فقد ولی رجلا على القصاص ، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجدته وصلی على النبي (ص) ، ودعا لل الخليفة ولاهل ولايته وحشمه

(١) الدورى ومعرف - تاريخ الحضارة العربية ، ص ١٤٥

وجنوده ، ودعا على اهل حربه وعلى المشركين كافة^(١) .
 ومن اطرف ما وردنا بخصوص ما ينبغي ان تكون عليه هيئة
 الوعاظ او سلوك القاصص اثناء اداء مهمته ، وكذلك فيما يتعلق بحضور
 النساء مجالس القصاص والوعاظ ام لا فذلك ما ذكره لنا الامام الفزالي
 عندما يستعرض المنكرات والمكرورات ، وعلى ذلك فالوعاظ مهما كان
 متزينا للنساء في ثيابه وهيئة ، كثير الاشعار والاشارات وانحرفات ،
 وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر ويجب المنع منه ، فإن الفساد فيه
 اكثر من الصلاح ، ويتبين ذلك منه بقرآن احواله ، بل لا ينبغي ان
 يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع ، وهيئة السكينة والوقار وزيه زمي
 الصالحين^(٢) ، والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال . ويجب
 ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فأن ذلك ايضا مضنة
 الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور
 المساجد للصلوات ومجالس الذكر اذا خافت الفتنة بهن ، فقد منعهن
 عائشة فقيل لها : ان رسول الله ما منعهن من الجماعات ، فقالت : لو
 علم رسول الله ما احدثن بعده لمنعهن ٠٠^(٣) .

هذا وما تجدر الاشارة اليه اقصوصة اوردها المكي فيها شيء من الطرافة والتنبيق ، وقد اوردها تأويلا لقوله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وما جاء فيها ان الله اذا جمع الاولين والآخرين لملاقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهem كما يسمع ادنائهم ، يقول : « يا ايها الناس اني قد انصت لكم مذ خلقتكم الى يومكم هذه فانصتوا الى اليوم ، فانما هي اعمالكم ترد عليكم . ايها الناس : اني

(١) احمد امين — فجر الاسلام ، ج ١ ص ١٩٦

(٢) قال ابراهيم بن هاني — وكان ماجنا خليعا ، كثير العبث والتمرد — « من تمام آلة القصاص ان يكون القاصص اعمى ويكون شيخا بعيد مدى الصوت » الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١ ص ٩٢

(٣) الفزالي — احياء علوم الدين ، ج ٤ ص ٤١٤

جعلت نسباً وجعلتم نسباً ، فوضعتم نسيبي ، ورفعتم نسبكم . قلت
ان اشرفكم عند الله اتقاكم ، وابيتم الا فلان بن فلان اغنى من فلان ،
فالليوم اضع نسبكم وارفع نسيبي . اين المتقون قال فينصب للقوم
لواهم الى منازلهم فيدخلهم الجنة بغير حساب^(١) .

ترى كيف ان صاحب هذا الخبر اراد ان يفسر قوله تعالى « ان
اكرمكم عند الله اتقاكم » وكان حريا به ان يدلل على ذلك بما اوتى من
علم المعرفة والبيان والاقناع وبما ورد من قرائن ودلائل كالذى جاء في
القرآن الكريم . الا انه ابى الا ان يتلمس له طريقا اخر يستخدمه في
أن يجعل له اسماع الاخرين فاختلق له هذه الاقصوصة التي ما هي من
القرآن في شيء .

واسلوب التخويف هذا كان قد اتبعه القصاص كثيرا . وكثيرا
ما كان يشمل الانبياء انفسهم ، فقد ورد في الاخبار ان نبيا شكا الى الله
تعالى الجوع والقمل والعرى سنين ، فأوحى الله تعالى اليه : اما رضيت
ان عصمت قلبك ان تكفر به حتى تسألي الدنيا ، فأخذ التراب فوضعه
على رأسه وقال : بلى ، قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر ، فلم
يذكر له نعمته عليه بشوته وعرضه للكفر ، وجوز دخوله بعد النبوة ،
فاعتبر النبي (ص) بذلك ورضى به واستعصم^(٢) .

وكان من الامور التي طرق اليها اولئك القصاص ، امور تحت
جمهور المسلمين على الاعراض عن الدنيا والزهد فيها . فتراهم يعطون
صفات الى الدنيا يأبى الذوق السليم من ايرادها او تقبلها ، ومما ذكر
في هذا المضمار قصة غريبة عجيبة تروي لنا ان بعض المكاففين شهد
ذلك فقال : رأيت الدنيا في صورة جيفة ، ورأيت ابليس في صورة كلب
وهو جاثم عليها ومناد ينادي من فوق ، انت كلب من كلابي ، وهذه

(١) المكي – قوت القلوب ، ج ٢ ص ١٣٣

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٦

جيفة من خلقي وقد جعلتها نصيتك مني فمن نازعك شيئاً منها فقد
سلطتك عليه ، فجاء في هذا أنها مكانه فمن تمكّن في شيء منها تسلط
العدو بالمكانة منه بقدر ما أصابه منها^(١) .

وقد ذكرت في هذا الامر قصص واخبار شتى كدها تذر من
الانجراف في تيار الحياة الدنيا ، والاستسلام لشهواتها وتغرياتها وان
من تغرس به الدنيا تكون عقباه النار . من ذلك ما رواه بعضهم عن
أنس قال : قال رسول الله ليجيئ اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال
تهامة فیأمر بهم الى النار قالوا : يا رسول الله مصلين ؟ قال : نعم ، كانوا
يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل ، فإذا عرض بهم شيء من
الدنيا وثروا عليه^(٢) .

وعلى ذكر النار مثلا سئل ابن عباس فيما رووا عن اقسام وانواع
النيران ، فأجابهم بقوله : ان النيران اربع : نار تأكل وتشرب وهي ناركم
هذه ، ونار لا تأكل ولا تشرب وهي النار في الحجر ، ونار تشرب ولا
تأكل وهي نار الشجر ، ونار تأكل ولا تشرب وهي نار جهنم ، تأكل
لحومهم ولا تشرب دماءهم ، فلذلك يقى ارواحهم فأخبر ان نار جهنم
خلاف النيران التي ذكرها يقول الله تعالى : « كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها » فأخبر سبحانه انه يبدل لهم الجلود لتبقى لهم
الارواح لا تأتي عليهم النار فيفنيهم^(٣) .

ولو ناقشنا قوله : « يبدل لهم الجلود لتبقى لهم الارواح » هل
هذا يعني ان الجلود هي التي تقي الروح من الاخطار او من النار كما
هو وارد في الرواية !!! وهل ان النار اذا ما اتت على الجسم لا يكون
اول ضحيتها بل اول عضو يتاثر بها هو الجلد ؟ هذا اذا كان مفهوم

(١) المكي — قوت القلوب ، ج ٢ ص ١٦٠

(٢) نفس المصدر ص ١٩٨

(٣) البليخي « المقدس » — البدء والتاريخ ، ج ١ ، ص ١٩٦

النار بالمفهوم الذي نعرفه نحن اي المفهوم المادي لها ، ولكن اذا ما كان مفهوماً معنوياً فكيف اذن يقيها الجلد من التأثير بتلك النار التي اذا ما شاء الله ادخالها في جسم المرء احرقته ، وهنا فلا بد ان يكون للآلية تفسير اكثراً واقعية من هذه الرواية ، واصلب ببرهاناً يؤدي حقيقة قوله تعالى آنف الذكر ، والا فما هو وجه تفسير كهذا !!

ومن الطريف قول احدهم في تفسير قوله تعالى : « ومن يغلل يأتي بما غل يوم القيمة »^(١) وما فيها من الموعظة ، انه سئل ابو هريرة عن قوله عز وجل الآنف الذكر ، وكيف يأتي من غل مائة بعير ومائة شاة ، فقال : رأيت من كان ضرسه مثل الاحد ، وفخدنه مثل ورفان وساقه مثل البيضاء ، ومجلسه ما بين المدية والربضة ، والرواية واضح بطلانها لست بحاجة الى تحقيق او تعليق ٠

وبخصوص صفة اهل النار ، ذكر عن الربيع بن انس انه قال : مكتوب في الكتاب ان جلد احدهم اربعون ذراعاً ، وبطنه لو وضع فيه جبل لوعسه ، وانه ليُبكي حتى يصير في وجهه اخاديد من الدمع لو طرح فيها السفن لجرت ، كما الرواية والله اعلم^(٢) ٠

رأيت ان الغرض واحد وواضح ، ثم ان اولئك القصاص كانوا لا ينفكون من ان يوردوا في قصصهم الذي كان يجري مجرى الوعظ والنصائح والارشاد بعض امور التحذير من مغبة السلوك المعوج ، كتبieran صفة اهل النار كما مثلاً وان صفة اهل الجنة كما ٠٠٠ الخ ولكن شيء من المبالغة والتهويل ٠ يضاف الى ذلك التشكيك الواضح لسى المؤرخين المسلمين عند تقطيع امثال تلك الروايات ، ويتجلى ذلك بوضوح في عبارة « كما الرواية والله اعلم » في نهاية الرواية آنفة الذكر ٠ وقد مر معنا ايضاً ان القصص التي رویت كانت معظمها يسند اما

(١) البلاخي « المقدس » — البدء والتاريخ ، ج ١ ، ص ١٩٦ وما بعدها

(٢) نفس المصدر ذات الصفحة

الى النبي (ص) واما عن لسان الرواية الثقة كما اسلفنا . كثير من اولئك الرواية ما يورد من بين ما يورد قصصاً غريبة ونراه يقيها على علاتها دون ان يعلق عليها شيئاً . فالبلخي «المقدس» مثلاً يورد قصة غريبة في وصف الملائكة ، والقصة تروى عن ابن اسحاق ، الواقدي^(١) يردها الى النبي (ص) ان النبي قال : — الا احدثكم عن ملك من ملائكة الله اذن لي ربي في الحديث عنه قالوا : بلـ يا رسول الله ، قال : — ان الله ملـكاً قد نـد بـقدمـه الارض السـفلـى ، ثم خـرـج من هـوـاء ما بـيـن ذـلـك حـتـى از هـامـته لـتـحـتـ العـرـش . والـذـي نـفـس مـحـمـد بـيـدـه ، لو سـخـرتـ الطـيـرـ فيما بـيـن عـنـقـه الى شـحـمة اذـنـه لـحـفـتـ فـيـه سـبـعـمـائـة عـام قـبـلـ انـ يـقطـعـه . وروى ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس (رض) قال : — ان النبي قال لـجـبـرـائـيلـ اـنـ اـحـبـ اـرـاكـ فـيـ صـورـتـكـ التـيـ تـكـونـ عـلـيـهاـ فـيـ السـمـاءـ ، قال : لا تـقـوـيـ عـلـىـ ذـلـكـ ، قال : بلـ ، قال : فـأـيـنـ تـحـبـ اـنـ اـتـخـيلـ لـكـ ، قال : فـيـ الـابـطـحـ ، قال : لا يـسـعـنـيـ ، قال : بـعـرـفـاتـ قال : ذـلـكـ بـالـحرـىـ ، فـوـاعـدـهـ ذـلـكـ ، خـرـجـ النـبـيـ (صـ) لـلـوقـتـ فـاـذـاـ هـوـ بـجـبـرـائـيلـ قـدـ اـقـبـلـ من جـبـالـ عـرـفـاتـ وـقـدـ مـلـأـ بـيـنـ المـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ وـسـدـ الـخـافـقـينـ ، رـأـسـهـ فـيـ السـمـاءـ وـرـجـلـاهـ فـيـ الـاـرـضـ وـلـهـ كـذـاـ الفـ جـنـاحـ يـنـتـشـرـ مـنـهـ التـهـاـوـيلـ ، فـلـمـ رـأـهـ النـبـيـ خـرـجـ مـغـشـيـاـ عـلـيـهـ ، فـتـحـوـلـ جـبـرـائـيلـ مـنـ صـورـتـهـ فـيـ صـورـةـ دـحـيـةـ الـكـلـبـيـ ، وـهـوـ اـبـنـ خـلـيـفـةـ بـنـ فـرـوـةـ الـكـلـبـيـ ، فـضـمـهـ فـيـ صـدـرـهـ ، فـلـمـ اـفـاقـ قـالـ : ما ظـنـتـ اـنـ لـلـهـ تـعـالـىـ خـلـقـاـ يـشـبـهـكـ ، قالـ : يـاـ مـحـمـدـ فـكـيفـ لـوـ رـأـيـتـ اـسـرـافـيـلـ رـأـسـهـ مـنـ تـحـتـ عـرـشـ ، وـرـجـلـاهـ فـيـ تـخـومـ الـاـرـضـ السـابـعـةـ ، وـاـنـ عـرـشـ لـعـلـىـ كـاـهـلـهـ ، وـاـنـهـ يـتـسـأـلـ اـحـيـاـنـاـ مـنـ مـخـاـفـةـ اللـهـ تـعـالـىـ حـتـىـ يـصـيرـ كـالـصـعـوـةـ وـمـاـ يـحـمـلـ عـرـشـ رـبـكـ الاـ عـظـمـتـهـ .

(١) البلخي «المقدس» — البدء والتاريخ ، ج ١ ص ١٧٢ وما بعدها

ولقد ورد من هذا اللون من الحكايات والروايات شيء كثير ،
خابن مسعود مثلاً يروى عنه قوله : — ان لله ملكاً البحار كلها في نقرة
ابهامه ، وعن كعب الاحبار انه قال : ان لله ملكاً السموات على منكبيه
يدور بها كما تدور الرحى^(١) . وفي رواية اخرى مرفوعة الى ابن عباس :
ان النبي (ص) قال : — ان لله ملكاً له الف رأس في كل رأس الف وجه
وفي كل وجه الف فم ، وفي كل فم الف لسان ، يسبح لله ويقدسه كل
لسان بآلف لغة من التسبيح^(٢) .

ولم يكتف البلخي « المقدسي » من رواية امثال هذه الاساطير التي
لا تتم الا عن ضيق في افق رواتها ، وبعدهم عن الواقع والحقيقة . ولكن
نراه يعلق بجملة قد نستدل منها انه كان غير واثق بصحتها حيث قال :-
« فهذا وما اشبهه موقف على صحة الخبر وصدق الراوي »^(٣) .
ومعلوم ان خبراً تكون تفصيلاته كالتي ذكرت آنفاً لا يمكن ان
يجد له ظلاً من الحقيقة مطلقاً . ثم ما هذه الخزعبلات والاساطير المملة
التي تقول ان لله ملكاً له الف رأس ، والالف كذا .. الخ . هل جاء
النبي يا ترى ساحراً مشعوذًا ، او انه جاء كاهناً مضللاً يلقي بالاساطير
على اصحابه — وحاشاه من ذلك — او انه جاء هازلاً اكروباتياً !!
جاء في بعض الاخبار ان الرعد ملك موكل بالسحاب معه كذا من
حديد يسوقه من بلد الى بلد كما يسوق الراعي الابل ، كلما خالف
سحاب صاح به ، فصوته زجره ، السحاب والبرق مصعه ، والصواعق
شراره^(٤) .

ولا ادري كيف استطاع هذا الراوية ان يفسر مثل هذه الظواهر
الطبيعية بمثل هذه الاراء الغريبة !! ثم من اي مصدر استقاها

(١) البلخي « المقدسي » — البدء والتاريخ ، ج ١ ، ص ١٧٣

(٢) نفس المصدر ، ص ١٧٦

(٣) نفس المصدر ذات الصفحة

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣

الشيء الوحيد الذي يتبدّل إلى الذهن هو أن خياله يبدو كأن حادثاً استطاع أن يفتقه عن مثل هذا الابتكار المضحك والذي بوساطته كان يشوق الناس لسماعه والاتفاق حوله فهذا أسلوب كثيراً ما كان يُستخدمونه للاغراء وليس غيره.

ولو اردنا ان تتبع هذا النوع من القصص لوجدنا ينبوعاً آخراً منه ، ولننظر الى رواية طريفة يرويها ابن اسحاق عن النبي (ص) انه قال : — ان مما خلق الله ديكاً براثنه تحت الارض السابعة ، وعرفه منظو تحت العرش قد احاط جناحاه بالافقين فإذا بقي ثلث النيل الاخير ضرب بجناحيه ثم قال : — سبحان ربنا الملك القدس فيسمعها من بين الخافقين فترون الديكة اذا سمعت ذلك^(١) . ومن هذا كثير وكثير جداً وقس على ذلك .

أرأيت يا ترى كيف ان الاسلوب الروائي اخذ يسير الى الاسوء ، ويتبّعه المعنى هو الآخر . وهنا تبين شخصية القاص وما وصلت اليه من تدهور وانحطاط وشروعه عن الواقع وتحليق في عالم ملؤه الخيال والاساطير .

يروي لنا الطبرى رواية يقول فيها انه حدث ان عمر بن الخطاب بينما هو حالس في الناس في مسجد رسول الله (ص) ان اقبل رجل من العرب داخل المسجد يريده عمر بن الخطاب ودار بينهما حديث طويل ، انتهى في ان عمر اخذ يحدث الناس قائلاً ما نصه : —

« والله اني لعند وثن من اوثان العجahlية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلاً ، فنحن نظر قسمه ليقسم لنا منه اذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قط اقذ منه وذلك قبل الاسلام بشهر او سنة يقول : — يا آل ذريح ، امر نجيج ، رجن

(١) البلاخي « المقدسي » — البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١١

صحيح ، يقول : « لا اله الا الله »^(١) .

وللتتعليق على هذه القصة نود ابراز الامور التالية : -

ان الاسلوب الذي ورد فيه حديث عمر بن الخطاب ضمن هذه الرواية كان مسجوعا ، وهو ما يشك في امر نسبة الى عمر ، حيث لم يعرف عن عمر انه كان يعني كثيرا بالسجع ثم ان الموضوع الذي رويت فيه هذه القصة يتعلق بظهور النبي (ص) وخروجه كنبي مرسل كريم . ولا اشك في ان الخلفاء الراشدين واخوه بالذكر منهم ابا بكر وعمر وعليها ايضا لم يكونوا يجدون رواية القصص حتى ولا سماعها . حيث يروى عن الحسن البصري^(٢) ان احدهم سأله قائلا : - اعود مريضا احب اليك او اجلس الى قاص ؟ فقال : عد مريضا . فقلت : - اشيع جنازة احب اليك او اجلس الى قاص ؟ قال شيع جنازتك . قلت : وان استعان بي رجل في حاجة اعينه او اجلس الى قاص ؟ قال : - اذهب في حاجتك .

وجاء في الاخبار ايضا ، ان النبي (ص) كان يفضل مجالس الذكر على مجالس القصص والقصاص . ثم انهم كانوا - اي الراشدين - يرون ان القصص بدعة ، وطبعي عملا ببدأ الاسلام ان كل بدعة ضالة ، وكل ضالة صاحبها في النار لانها حرام .

ثم انه لم يذكر بل ولم يكن متوفرا لدينا مطلقا بأنه كان يقص في

زمن الرسول ولا في زمن ابي بكر ولا في زمن عمر حتى ظهرت الفتنة ،

فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص^(٣) فكيف بصاحب الرواية وقد نسبها

(١) الطبرى - تاريخ الامم والملوك ، الطبعة الاوربية ، ج ١ ، ص ١١٤٤ - ١١٤٥

(٢) المكي - قوت القلوب ، ج ٢ ، ص ٢١

(٣) يظهر ان القصص اتخذ اداة سياسية من عهد الفتنة بين علي ومعاوية يستعين بها كل على ترويج حزبه والدعوة له ، يدل على ذلك ما

الى عمر بن الخطاب زورا وبهتانا ، وذلك بدلالة القرآن التي اوردتها قبل قليل والتي هي على النقيض من ادعائه . ثم ان الدلائل التي تظهر لنا محاربه الخلفاء الراشدين للقصاص انه لما دخل علي (رض) البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول^(١) : لا يقص في مسجدنا حتى اتهى الى الحسن^(٢) وهو يتكلم في هذا العلم فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه . وجاء ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فاخرجه وقصته هذه ذكرناها سابقا^(٣) .

ومن القصص التي جاءت على سبيل التوجيه والارشاد ما رواه المكي : ان عثمان بن ابي العاص قال : - يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال : - ذلك الشيطان يقال له « حنوب »، اذا احسسته فتعوذ بالله منه ، واتقل عن يسارك ثلاثا ، قال ففعلت ذلك فأذهبه الله تعالى عنی^(٤) .

اوردناء عن الليث بن سعد ، وما روي عن ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب : - ان عليا (رض) قنت فدعا على قوم من اهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعوه لاهل الشام . انظر : احمد امين — فجر الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، كذلك ص ٢٤ من هذا البحث .

(١) المكي — قوت القلوب ، ج ٢ ، ص ٢١

(٢) يستنتج من هذه الرواية ان الحسن البصري كان واعظا ورعا تقيا وان وعظه كان لا يقصد من ورائه منفعة شخصية او الهاء الناس واضحاهم ، بل يظهر انه كان على العكس ، ولهذا لم يخرجه الامام علي من المسجد الجامع ، ولو ان وعظه كان كيعظ بقية القصاص لما انصرف عنه الامام علي ولم يخرجه .

هناك بحث قيم عن حياة الحسن البصري ومنزلته في : - دائرة المعارف الاسلامية — مادة الحسن البصري — المجلد السابع ص ٣٨١ — ص ٣٨٢ . انظر كذلك : - احمد امين — فجر الاسلام ،

ج ١ ، ص ١٩٦

(٣) انظر ص ٢١ — ٢٢ من هذا البحث

(٤) المكي — قوت القلوب ، ج ٢ ، ص ١٦٨

نحن لا ننكر العادة الجارية حتى الان ، وهو اذا ما اخطأ امرؤ ،
تراه يتغوز بالله من الشيطان ، ويتململ منه ، الا ان ذلك لا يعني في
حقيقة ان شيطانا قد عارضه او اعترضه وافسد عليه عمله او نيته ٠٠
والانكى من ذلك تسمية الشياطين حين تذكر القصة ان شيطان ابن ابي
العااص كان اسمه « خزب » ، وهكذا ترى انها عبارة عن تسطير افكار
واراء وسميات بعيدة عن الواقع تماما ، وهي كما ذكرت اكثرا من مرة
لا بد وان يسبغ عليها صفة شرعية لتقبلها ، ولذا فلا بد من نسبتها الى
الرسول الكريم وهو منها براء ، او انها ليست بالشكل والنص الذي
وردنا ، بل في الحقيقة ربما كان ابسط من ذلك كأن يكون تعويضا بالله
او ما الى ذلك ، ولا تترتب على ذلك اية تفاصيل اخرى كانت ذكرتها
القصة ولكن شاء القصاص والرواية ان ينمقوا الاخبار ويحوروها وهذا
الذى نراه بالفعل ٠

ولقد لاحظنا ان هذا اللون من القصص ينسو ويزداد بسرعة ذلك
لانه كما يبدو يتفق وميل العامنة ، فاكثرا القصاص من الكذب وامعنوا
في التنميق والتحوير ٠

ومن القصص التي جاءت على سبيل الوعظ والعبرة – وهي وان
كانت كسوابقها من القصص ذات الخيال الربح – الا أنها قياسا
لسوابقها تعد اكثرا تقى وعفة ٠ حيث يذكر المكي رواية عن رابعة
العدوية قالت^(١) : — سبحت ذات ليلة تسبيحات من السحر ثم نمت ،
فرأيت شجرة خضراء نضرة لا توصف عظما وحسنا ٠ اذ عليها ثلاثة انواع
من الشمر لا اعرفه من ثمار الدنيا ، كثدي الابكار ، ثمرة بيضاء ، وثمرة
حمراء ، وثمرة صفراء ، فهن يلمعن كالاقمار والشموس في خلال خضراء
الشجر ، قالت : فاستحسنستها فقلت : — من هذه فقال لي قائل : — هذه

(١) المكي — قوت القلوب ، ج ٢ ، ص ١٥٣

لَك بِسَبِيلِ حاتَّك آنفًا . قَالَ : فَجَعَلْت اطْوَافَهُ حَوْلَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا شَمْرَة
مُنْتَشِرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ فِي لَوْنِ الْذَّهَبِ ، فَقَلَّتْ لَوْنَ كَدْنَتْ هَذِهِ الشَّمْرَةِ عَلَى
هَذِهِ الشَّمْرَةِ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِكَانَ أَحْسَنُ ، فَقَالَ لِي الشَّخْصُ : — قَدْ
كَانَتْ هُنَاكَ ، إِلَّا أَنَّكَ حِينَ سَبَحْتَ تَفْكِرْتَ هَلْ اخْتَمَ الْعَجَبَيْنِ أَمْ لَا ؟
فَاتَّشَرَتْ هَذِهِ الشَّمْرَةُ فَهَذِهِ عَبْرَةٌ لِأَوْلَى الْأَبْصَارِ وَمَوَاعِظُ لِأَهْلِ الْقُوَّى
وَالْأَذْكَارِ .

وَمِنْ أَطْرَفِ مَا يَذَكُّرُ بِخَصْوَصِ اسْتِكَارِ الْعُلَمَاءِ وَالرِّوَاةِ قَصَصُ
الْقَصَاصِ وَمَجَالِسِهِمْ وَمَحَارِبِهِمْ إِيَّاهُمْ مَا ذَكَرَهُ الْمَكِيُّ حِيثُ قَلَ (۱) : قَالَ
شَمْرَةُ لِلثَّوْرِيِّ نَسْتَقْبِلُ الْقَاصِ بِوجْهِنَا ؟ فَقَالَ : وَلَوْا الْبَدْعُ ظَهُورُكُمْ .
وَقَدْ فَعَلَ الْأَعْمَشُ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ (۲) : — فَقَدْ دَخَلَ الْبَصَرَةَ وَكَانَ فِيهَا
غَرِيبًا ، فَنَظَرَ إِلَى قَاصِ الْجَامِعِ وَهُوَ يَقُولُ : — حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي
اسْحَاقَ ، وَحَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي وَائِلَّ قَالَ : ۰۰۰۰۰ ، فَتَوَسَّطَ
الْأَعْمَشُ الْحَلْقَةَ وَرَفَعَ يَدَهُ وَجَعَلَ يَنْتَفُ شَعْرَ ابْطَهُ ، فَبَصَرَ بِهِ الْقَاصِ
فَقَالَ : — يَا شِيخَ الْأَسْتَحْيِ !! نَحْنُ فِي عِلْمٍ وَأَنْتَ تَقْعُلُ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ
الْأَعْمَشُ : الَّذِي أَنَا فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، قَالَ كَيْفَ ؟ قَالَ : —
لَأَنِّي فِي سَنَةٍ وَأَنْتَ فِي كَذَبٍ ۰۰۰ أَنَا الْأَعْمَشُ وَمَا حَدَّثْتَكَ مِمَّا تَقُولُ شَيْئًا،
فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ ذِكْرَ الْأَعْمَشِ انْفَضُوا عَنِ الْقَاصِ .
وَهَذَا دَلِيلٌ قَوِيٌّ يُؤكِّدُ صَحَّةَ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ آنفًا فِي أَنَّ الْقَصَاصَ
لَمْ يَكْتُفِي بِتَزْوِيرِ الْقَصَصِ وَالرِّوَايَاتِ وَالْأَخْبَارِ فَقَطْ ، بَلْ تَجاوزُوا ذَلِكَ
لِرِوَاةِ الْمُحَدِّثِينَ أَنفُسِهِمْ .

وَمِنَ التَّفْسِيرَاتِ وَالْأَقَاصِيَصِ الَّتِي حَاكَهَا رَوَاةُ وَمَفْسُرُوِ الْقُرْآنِ فِي
الْإِسْلَامِ مَا يَخْتَصُ بِتَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (فِي سُورَةِ الْفَلْقِ) : —

(۱) الْمَكِيُّ — قَوْتُ الْقُلُوبَ ، جِ ۲ ، صِ ۲۳

(۲) نَفْسُ الْمَصْدَرِ ، صِ ۲۵

بسم الله الرحمن الرحيم — قل اعوذ برب الفلق * من شر ما
خلق * ومن شر غاسق اذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن
شر حاسد اذا حسد *

ذكر المفسرون^(١) ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر لرسول الله ثم دس ذلك في بئر لبني زريق بينما هو (ص) نائم اذ اتاه ملكان احدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فأخبراه بذلك ، وانه في بئر ذروان في جف طلعة ، تحت راعوفة حجر في اسفل البئر يقوم عليها المائج فأنبته رسول الله (ص) وبعث عليا والزبير وعمارا فنحووا ماء تلك البئر ، ثم رفعوا الصخر واخرجوا ذلك الجف فإذا فيه مشاطة رأس واسنان من مشط واذا هو معقد احدى عشر عقدة مغروزة بالابر ، فنزلت هاتان السورتان وهما المعروفتان بالمعوذتين ، فجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة ، حتى انحلت كلها فقام رسول الله (ص) كأنما نشط من عقال ، وجعل جبرائيل يقول : —

« بسم الله ارقيك ، من شر كل شيء يؤذيك من حاسد وعين الله يشفيك » ٠

اما قصة طوفان نوح ، وما حيكت حول ذلك من حكايات وقصص ومدى تأثر اولئك القصاص بكتب العهد القديم وغيرها ما سنذكره هنا : —

(١) القطيفي — قصص القرآن ، ص ٢٤١ - ٢٤٢
وقد اورد الاستاذ « جولد تسيهير » قصة في تفسير هذه السورة تتضمن معظم ما ورد في النص اعلاه . الا انه يعلق في نهايتها بقوله :— « ولئن امكن ان يزيل احد من طريقه — اي طريق النبي — ايضا هذه القصة المؤثرة على انها اسطورة حمقاء ، ان هناك شهادة في القرآن لم تزل قائمة على وجوب الایمان بالسحر الذي سببته عقد النفاثات » .. انظر : جولد تسيهير : مذهب التفسير الاسلامي ص ١٦٣ - ١٦٤

في رواية مرفوعة السند الى ابن عباس انه قال^(١) : - قال
 الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينية فحدثنا
 عنها ، فانطلق بهم حتى اتهى الى كثيب من تراب فأخذ كفاه من ذلك
 التراب بكفه فقال : - اتدرون ما هذا ؟ قالوا : - الله ورسوله اعلم .
 هذا هو قبر حام بن نوح ، قال : فضرب الكثيب بعصاه وقال : - قم
 باذن الله ، فادا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له
 عيسى : - هكذا هلكت ؟ قال : - لا ولكنني مت وانا شاب ، ولكنني
 ظنت انها الساعة فمن ثم شبت . قال : - كان طولها الف ذراع ومائتي
 ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : طبقة منها
 الدواب والوحش ، وطبقة فيها الانس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر
 ارواح الدواب ، اوحي الله الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمز فوقع
 منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلَا على الفار بخرز السفينية يفرضه . اوحي
 الله الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد ، فخرج من منخره سنور
 وسنورة فأقبلَا على الفار فقال له عيسى كيف علم نوح ان ابلاد قد
 غرقت ، قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا
 عليه بالخوف ، ولذلك لا يألف ، قال : ثم بعث الحمامه فجاءت بورق
 زيتون بمنقارها^(٢) ، وطين برجليها ، فعلم ان البلاد قد غرقت فطوقها
 الحضرة التي في عنقها ودعاهما ان تكون في انس وامان . فمن ثم تألف
 البيوت . قال الحواريون يا رسول الله : الا تتطرق به الى اهلنا ،
 فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال
 له عد باذن الله ، فعاد ترابا .

(١) الطبرى — تاريخ الامم والملوك ، القاهرة ، ج ١ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) ولقد ورد ذلك في الكتاب المقدس في الفصل الثاني من سفر التكوين ، راجع ذلك .

ويعلق الجاحظ على بعض ما ورد في تلك القصة بقوله^(١) :—
 « وزعم بعض المفسرين وأصحاب الاخبار ان اهل سفينة نوح كانوا قد تأذوا بالفأر فطعن الاسد عطسية فرمي من منخريه زوج سنافير فلذلك السنور اشبه شيء بالاسد . وسلاح الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير اشبه شيء بالفيل — قال كيسان : فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنافير وقلك السنورة حواءها — » .

« قال ابو عبيدة لكيسان : — او لم تعلم ان لكل جنس من الحيوان آدم وحواء . . . !! ؟ » وضحك (فضحك) القوم .

هذا مع العلم ان ما اورده الجاحظ كان على سبيل التسدير والفكاهة ، وليس على سبيل التوكيد والاثبات ، لأن الرواية غير حقيقة من اساسها . فقبل كل شيء : ان اسلوبها الاسطوري المركب الذي صيغت به يؤكّد ذلك ، يضاف الى ذلك انها مروية عن مصادر من اهل الكتاب وهم الحواريون ، او لئن الذين لا سبيل لنا من التثبت او الجزم من صحة كل ما يكتبون ويذكرون . زد على هذا وذاك عدم ثبوتي على نص آخر يثبت صحة هذه الرواية بكل تأكيد .

هذا ويجد بنا التطرق ولو بشكل عابر الى ان هناك رأي سائد لدى كثير من المؤرخين اليوم وبخاصة علماء الاثار ، ان قصة طوفان نوح آنفة الذكر لا يعتبر ورودها في القرآن الكريم اول ذكر لها في التاريخ ، بل اثبتت التحريات والدراسات الاثارية المضبوطة ان هذه القصة التي انعکس صداها في القرآن الكريم والتي اشار اليها بشكل مقتضب ، لم تكن الا اشارة موجزة لقصة تماثلها وردت بشكل ملحوظ مفصلة جاءتنا مدونة بالخط المساري وبصورة مسماة في الاداب القديمة واعني به الادب السومري . وقد وردت باسم « ملحمة

(١) الجاحظ — الحيوان ، ج ١ ، ص ٤٦

جلجامش » (Galgamish Epic) ^(١) وهذه — اذا ما دققنا النظر

فيها الفيناها تضارع قصة طوفان نوح في اغلب فصولها ومعانيها .

هذا ولا يفوتنا ان نذكر في هذا الصدد بخصوص مورد عن الحمامنة وغضن الزيتون التي جاء ذكرها في قصة نوح سابقاً ، انه بأمكاننا ان نستنتج ان لهذا الامر ولهذه الاسطورة بالذات علاقة وثيقة بما اتخذته منظمة انصار السلم في العالم شعاراً لها وهو الحمامنة وهي حاملة غصن الزيتون في منقارها ، دليل السلام والامان في العالم . وبالمناسبة فأن لهذه المنظمة بالنسبة للعراق تاريخ حافل لا يشرف ابداً .

هذا وما يؤكد ما ذهبت اليه آنفاً قوله — اي نوح — « دعا للحمامنة ان تكون في انس وامان ، ومن ثم تألفت البيوت ٠٠ الخ » . وهذا دليل العمran والازدهار في ظل السلام والامان والاستقرار .

(١) هنالك ترجمة مفصلة لهذه الملحمه منشورة في مجلة سوم : الجزء الثاني ، المجلد السادس سنة ١٩٥٠ ، ص ١٤٣ - ١٩١

الفصل الثاني

رواد الفصوص التاريخي والديني

- تميم الداري
- وهب بن متبه
- كعب الأحبار
- يزيد بن ابان الرقاشي
- الحسن البصري
- صالح المتربي

١١) تيم الداري

وهو أحد الصحابة ، ويقال إن « الداري » نسبة إلىبني الدار ، أو عبد الدار كما يقول فلهاؤزد ، وهم بطن من لخم ، ويقول النwoي في كتابه « تهذيب الأسماء » : — إن تسمية تميم هي : الديري ؛ ويقال أنها نسبة إلى الدير الذي كان راهبا فيه قبل أن يدخل في الإسلام . وكان تميم يعيش في فلسطين بين قبيلته ، وفي رواية أنه وفد منها على النبي لما أراد أن يسلم . هذا وإن اسلامه هو وأخوه وعشرة من عشيرته كان قد حدث بعد خير عام ٥٧هـ . ولكن دائرة المعارف الإسلامية ترجح أن ذلك — أي اسلامه — حدث بعد غزوة تبوك اي عام ٥٩هـ (٢) وليس عام ٥٧هـ اي في العام الذي كانت فيه واقعة تبوك التي ابلغت الجيش الإسلامي تخوم الشام .

وأسلم تميم وكان نصراينيا كغالبية عرب الشام ، فاستطاع أن يخبر عن النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى ومنها استعمال السراج . حيث يقال أنه أول من أسرج السراج في المسجد . وكان يترهب حتى قال عنه أبو نعيم « انه راهب اهل عصره » وهي نزعة

(١) راجع البحث القيم المنشور في دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الخامس « مادة تميم الداري » طبعة القاهرة — ص ٤٨٠ وما بعدها . كذلك راجع رسالة تقى الدين المقريزي « ضوء الساري لمعرفة خبر تميم الداري » المنشور في : —

The Journal of the Palestine Oriental Society
Vol. XIX, No. 3 — 4, 1941

(٢) الحقيقة ان اسلام تميم كان قد حدث سنة ٩هـ وكان هذا نصراينيا من نصارى اليمن . راجع : احمد امين — فجر الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٥

نصرانية بقيت عنده في الاسلام(٣)

وهنا يجدر بنا ان نناقش دائرة المعارف الاسلامية حول هذا الادعاء الذي نسب الى تميم وهو كونه اخبار النبي بتفاصيل العبادات وما شاكلها : من طقوس تعبدية كان قد استعارها من النصارى ، وتدلل دائرة المعارف هذه باستعمال السراج في المسجد والذي كان يستعمله النصارى في الكنائس ولكن يا ترى هل ان استخدام السراج في المسجد يعتبر من الامور التعبدية بالنسبة للإسلام ؟ وهل هو منها في شيء حتى يجزئ كاتب المقال لنفسه - دائرة المعارف - ان يدعى مثل ذلك الادعاء ، وهو الذي قال في مقدمة البحث ان تميم هذا اسلم في عام ٥٩هـ ، ومعلوم ان المسلمين خلال هذه المدة قد اصيحوا من القوة الروحية والدينية امرا يلفت النظر ، سيمانا وان الرسول قد افهمهم كل ما يتعلق بأمور دينهم الجديد من عبادات ومعاملات وما سواهما . وعليه تقول ان مثل هذا امر مردود من اساسه .

يقال ان تميم الداري كان اول من روى القصص الدينية ، وقصص قيام الساعة وظهور الدجال والجحشة^(٤) التي سيرد القول عنها فيما بعد . وقصص مثل هذه يعتبر فنا من فنون الاداب ، وقد اخبر بهما تميم الداري النبي فأخذ بروايته واذاعها بين الناس . ويقال ان تميم شاهد بعينيه هذين المخلوقين العجبيين وتحدث اليهما في جزيرة في آخر العالم ، القت بها اليه عاصفة هبت عليه في رحلة له ببلاد الشام . وقد حبس في هذه الجزيرة الدجال والجحشة انتظارا لليوم الذي يؤذن لها

(٣) احمد امين — نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية — مادة تميم الداري

هذا وروى عن ابن شهاب ان : « اول من قص في مسجد رسول الله (ص) تميم الداري ، استأذن عمر ان يذكر الناس فأنهى عليه ، حتى كان اخر ولاليه ، فاذن له ان يذكر الناس في يوم الجمعة ، فكان تميم يفعل ذلك . » ، فسئل من اول من قص ؟ قال : تميم الداري . راجع

احمد امين — فجر الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٥

فيه بالخروج الى الارض . و تستطرد دائرة المعارف الاسلامية فتقول :-
 وليس من شك في ان اسطورة تميم الداري هذه نشأت في عهد سحيق .
 لانا نجدها بجميع تفصيلاتها في اقدم كتب السنة . في مسلم و ابي داود
 والترمذى و ابن ماجة ، واحمد بن حنبل . ثم ان شرح هذه القصة قد
 تعين بعد ذلك عقب وفاة النبي وتغيرت حوادثها . فلم يعد السبب في
 معرفة تميم خفايا العالم الآخر نتيجة لغرق مركبه ۰۰ وانما
 حمله جني من بيته بليل ۰۰ وطاف به ببلاد
 مجموعة يسكنها عجائب المخلوقات على اختلاف انواعها ولقي في هذه
 الرحلة الغرائب والاهوال . وكان لقاوئه للدجال والجحارة مرحلة من
 مراحلها ، ثم عاد الى بيته ملك على سحابة ووquette زوجه في حيرة شديدة
 فقد ظنت انه مات فتزوجت رجلا غيره ، ورفع الامر الى عمر فساطط به علينا
 فأفتقى بأن النبي قد تنبأ كل ما وقع لتميم . وترك للزوجة الخيار بين
 الرجلين فاكتثرت تميم .

ومن الجدير ذكره هنا ان هذه القصة رغم بطلانها ومساحتها
 الاسطورية ، الا اننا نجد كتابا اسلامية ومؤرخين مسلمين مختلفين
 يوردونها ضمن ما يوردون . ومن هؤلاء الدمشقي الذي ذكرها بقوله:
 « واما جزيرة الدجال ، فيزعم قلة الاثار انه بها مسجون ، وقد ورد في
 الخبر ان تميم الداري اختطفه العجان ووصل اليه رآه بها وسائله مسائل
 عن اشرط الساعة وخروجه والقصة مشهورة^(٥) .

اما ياقوت الحموي فانه يوردها في نص يختلف عنها في الاسلوب
 ويطابقها في المعنى تقريبا^(٦) : - « ولكن لحدثيه تميم الداري :-

(٥) الدمشقي — نخبة الدهر ، ص ١٤٩

(٦) ياقوت الحموي — معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٣٤

معنى سورة القابله : حدثني ان نفرا من قومه اقبلوا في البحر فأصابهم ريح عاصف فألجأتهم الى جزيرة فإذا هم بدبابة قالوا لها : - ما انت ؟ قالت : انا الجسasse ، قلنا اخبرينا الخبر ، قالت : ان اردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فأن فيه رجالا بالاشواق اليكم ، قال : فأتيناه ، فقال : ان نعمت فأخبرناه فقال : ما فعلت ببحيرة طبريا ؟ قلنا تدفق بين جوانبها ، قال : ما فعلت نخل عمان ويسان ؟ قلنا : يجتنيها اهلها ، قال : ما فعلت عين زغر ، قلنا : يشرب منها اهلها ، قال : فلو ليست تقدرت من وثافي فوطيت بقدمي كل منهل الا مكة والمدينة .

على ان البلخي « المقدسي » يورد قصة هي عباره عن تكملة للقصة آنفة الذكر التي اوردها الحموي ، وقد ورد فيها بأن النبي هو الذي روى هذه القصة تقلا عن تميم الداري وقد جاءت على التحو التالي ^(٧) : - اخبر سفيان عن مجالد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت : - خرج رسول الله علينا في نحو الظهيرة فخطبنا فقال : - اني لم اجمعكم لرغبة ولا لرهة ، ولكن لحدثي حدثنيه تميم الداري : - معنى سورة القابله ٠٠٠ الخ . القصة آنفة الذكر .

نظرة بسيطة على هذه القصة ترينا مبلغ الصحة في هذه الرواية والذى يصل حد الصفر في اقصاه ، ذلك انه لا يصح ان يخرج النبي على قومه ويجمعهم في وقت الظهيرة ويخطب بهم - حسبما تدعى الرواية - وكان الامر خطير !! وكان الموضوع يعالج امرا قد يكون مهم بالنسبة للنبي وللمسلمين سواء في حياتهم الدينية او الدنيوية ، الا ان الامر لم

(٧) البلخي « المقدسي » - البداء والتاريخ ج ٢ ص ١٩٢ وما بعدها

يكن كذلك بل من اجل حديث كان قد حدث به النبي تميم الدارى ^{١٠٠}
 وعلى ذلك يمكننا ان نقول بأن تلك القصة شأنها شأن غيرها مما نقل
 ونسب تلفيقا واتحاولا عن لسان النبي ورواية الحديث ونقلة الاخبار ^٠
 ويحسن بنا ان نذكر هنا خبرا اورده القدسى معتبرا اياه تفسيرا او
 ايضاحا لقوله تعالى « اذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة الارض
 تكلمهم » فيقول ^(٨) : — قال كثير من اهل الاخبار : انها دابة ذات وبر
 وريش وزغب ، وفيها من كل لون ، ولها اربع قوائم ، رأسها رأس ثور ،
 واذانها اذان فيل ، وقرنها قرن ايل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر
 اسد ، وقوائمها قوائم بغير ، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان ، وترفع
 الاسماء فلا يعرف احد بأسمه ، وهي تجلو وجه المؤمن بالعصا فيبيض ،
 ويختتم على انت الكافر فيفسو السواد فيه فيقال : يا مؤمن يا كافر ،
 ويروي عن عبد الله بن عمر انه قال : — هي الدابة الغلباء التي اخبر
 تميم الدارى عنها وليت شعري ارى لو خلقت هذه الدابة كيف تكون
 بالنسبة للاوصف التي اوردتها القصة ، بالتأكيد انها ستكون صورة
 كاريكاتورية مضحكة ^{٠٠٠} !!!

على ان ما اثر عن تميم الدارى فيما يتعلق بقصصه الدينى ما روى
 ان روح بن زنباع زار تمينا الدارى فوجده ينقي شعيرا لفرسه وحوله
 اهله ، فقال له روح : — اما كان في هؤلاء من يكفيك ؟ قال : بلى ،
 ولكنني سمعت رسول الله يقول : ما من امرىء مسلم ينقي لفرسه شعيرا
 ثم يعلقه عليه الا كتب الله له لكل حبة حسنة ^(٩) .

ان هذه الاقصوصة في الواقع تربينا بوضوح عقلية تميم هذا ونوع
 قصصه ومنحاته فيما يروى ^٠
 وكان من اسباب شهرة تميم الدارى ايضا واقعة اخرى تختلف عن

(٨) البلخي « المقدسى » — البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٨

(٩) احمد امين — فجر الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٥

هذه القصة وغيرها اختلافاً تاماً ، فيقال انه عندما لقي النبي صلوات الله عليه ان يقطعه قطعة وهو وذرته الناحية التي يعيش فيها يجرون الخليل ، فأجابه النبي الى سؤاله على الرغم من ان فلسطين كانت الى ذلك الحين في يد الروم وعززت هذه العطية بوثيقة ابرزها تميم ابن الفتح العربي لفلسطين ، وهي تحفظ له ولورثته : أخيه تميم « لم تكون تميم سوى ابنة واحدة » حق امتلاك نواحي حبرون ويقال لها ايضاً « جبرى والمرطم » ، « ويقال لها : مطلون ومرطلون » وترجع دائرة المعارف الاسلامية الاسم الاخير وهو « مرطلون » بالنسبة للفظة اليونانية الاصيلية ، وكذلك نواحي بيت عينون وبيت ابراهيم وظلت هذه الضيغة في حوزة اسرة تميم الدارى الى عهد متأخر ، وتذكر دائرة المعارف الاسلامية ، بأن خدام حرم الخليل في الوقت الحاضر يدعون انهم من سلالة تميم الدارى ^(١٠) .

ولهذه المبة مغزايان انها شاهد على معجزات النبي ، والثاني انها اقدم اشارة الى منح اقطاع بأسلوب مقرر . ثم تستطرد دائرة المعارف الاسلامية في القول وتقول في موضع آخر : « وليس بنا حاجة الى التدليل على ان هذه الوثيقة منحولة ، فإن ورودها بصيغتين مختلفتين دليل كاف على ان النص محض تلفيق واختراع » .

ان تشكيك صاحب المقال في دائرة المعارف الاسلامية في صحة منح النبي اقطاعيات امر قد يكون مقبولاً ، وذلك لأن ما سنرى يدلل بوضوح على ما ذهبنا اليه ، وهو كيف يمكن للرسول ان يمنح اقطاعاً لصحابي او لا ي شخص آخر في بلاد ليس له فيها نفوذ او سيطرة !! زد على هذا ، فإن النبي والاسلام في هذه الفترة لم ينته بعد من فض مشاكله الداخلية

(١٠) راجع المقال المنشور في دائرة المعارف الاسلامية : « مادة تميم الدارى » .

والتي على رأسها تمتين الاسن الروحية وقوية اواصر الاخوة بين المسلمين اكثر فاكثر ولا سيما في مكة والمدينة وما حولهما . ثم ان النبي لم يكن انسانا خياليا بل العكس هو الصحيح ، اذ انه انسان واقعي بكل ما للواقع من معنى . ولهذا فأمر منحه اقطاعا في بلاد لم تكن مفتوحة وقتئذ ، او لم تكن تأتى بأمره بل لا زالت ييد الروم مشكوك فيه .

وإذا جئنا من الناحية الثانية وتساءلنا : اذن فما هو موقفنا مما ذكرته كبريات الكتب الاسلامية ، وعليه مؤرخي الاسلام في هذا الموضوع ، وما اوردته من نصوص اوردنا بعضها هنا ؟ تقول : ان معظم كتب الاسلام اوردت اخبارا وامورا حتى انها لم تكن من الواقع في شيء ، ثم انها اوردت اخبارا واراء عنبني اسرائيل وغيرهم من اهل الكتاب ، وعن امور تتعلق بالكون والخلائق فهل يعني انتا ينبغي الانمحض ما وردنا من اخبار ، ونستخلص منها الحقائق وعلى ضوء هذا فلا يعني مطلقا انتا تكر على مؤرخي الاسلام ورواته الاولى كابن سعد والحموي ابى يوسف وغيرهم ذكرهم مثل هذه الروايات ، فآن الفكرة التي تولدت لدينا عن الموضوع ما هي الا نتيجة لدراسة النصوص المتغيرة التي اوردتها اولئك المؤرخون بهذا الخصوص . وعليه فلا مجال للشك في شخصية تميم الدارى كما سنرى ، الا ان الشك كل الشك يقع في صحة اقطاعه . ولكن ما ذكره المقرizi⁽¹¹⁾ بآن ما وبه النبي تميم الدارى من اقطاعيات كان على سبيل التفل شأنه شأن ما يفعله الامام وان لم تكن قد فتحت تلك البلاد التي اقطع فيها النبي تميمـ اي الشامـ وقبل ان يملکها المسلمونـ ولكن جعلها له تقلا من اموال اهل الحرب ، ويورد امثلة يدلل بموجبها امكانية وصحة وجود التفل عند الامام ، وينتهي من القول في ان عمر بن الخطاب لما فتح فلسطين امضى ما كان النبي قد تفله ، فقد خرج ابو عبيدة هذه العطية

(11) المقرizi — الخطط ، الطبعة الاولى ، ص. ٥٠

المعلقة ، فخرج النفل الذى ينفله الامام بعض المقاتلة . ولكننا ازاء هذه الرواية نصر على القول بأن امرا مثل هذا لم يحدث كما اسلفت قياسا انى القرائن التي اشرنا اليها آنفا ، وان اعتراف المقرىزى بأن القصة حدثت قبل فتح بلاد الشام خير دليل على ما ذهبت اليه . اما قوله : ان ما فعله الرسول كان على وجه النفل ، فقول مردود حيث انه الرسول لم ينفل مثل هذه الاقطاعيات الخيالية والتي لم تكن تحت تصرف المسلمين . ولو كان ذلك من باب النفل لذكرت كتب التاريخ تعينا وتصريحا الغاية التى ترجى من تلك الاقطاعيات الا ان الحجج واهية جدا . وانها ذكرت انهم يرون ان النبي كان قد اقطع تميما بحسب ادعائه وقلا عنده وهذا لا يمكن تصديقه او التعویل عليه في البحث العلمي الدقيق .

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد قوله^(١٢) : — « قالوا وكتب

(١٢) ابن سعد — الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٢١ — ٢٢

هذا وقد ورد هذا النص في مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٦٧ بالشكل التالي : — « بسم الله الرحمن الرحيم : — هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن اوس الدارى ، ان له قرية حبرون وبيت عينون قريتهم كلها ، وسهلها موجبلهما وماءهما وحرثهما وانباطهما وبقرهما ... الخ انصل حيث ينتهي بعبارة وكتب علي » .

وتذكر مجموعة الوثائق بأن هذا النص هو مضمون تجديد الكتاب الذي منحه الرسول الى الداريين لما هاجر (ص) الى المدينة . اما الكتاب الاول فهو كما يلي : — « وفد على الرسول الداريين مرتين : مرة قبل الهجرة ومرة بعد الهجرة . وفي المرة الاولى سأله رسول الله (ص) ارضا ، فدعا بقطعة من ادم وكتب كتابا نسخته بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » . هذا كتاب ذكر فيه ما وهب « محمد » رسول الله للداريين ، اذ اعطاه الله الارض ، وهب لهم بيت عينون ، وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم ومن فيهم الى الابد . شهد عباس ابن عبد المطلب ، وخزيمة بن قيس ، وشرحبيل بن حسنة وكتب .. راجع تفاصيل ذلك في المصدر السابق « مجموعة الوثائق السياسية » ، ص ٦٦ .

رسول الله (ص) لنتعيم بن اوس اخي تميم الداري في ان له حبرى وعينون بالشام قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها ، وحرثها واباطها وبقرها ولعقبه من بعده لا يحاقه فيها احد ولا يلجه عليهم بظلم ، ومن ظلمهم واحد منهم شيئاً فأن عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .
اما ابو يوسف فقد اورد هذا الخبر في كتابه « الخراج »

كالآتي^(١٣) : — اخبرني شيخ من قريش عن الزهرى قال : — قال تميم الدارى : يا رسول الله ان لي جيرة من الروم بفلسطين ، لهم قرية يقال لها « جيرون »^(١٤) ، واخرى يقال لها عينون ، فأن فتح الله عليك الشام فهمهما لي ، فقال : هما لك ، قال : فاكتب لي بذلك كتاباً : — قال فكتب له : —

بسم الله الرحمن الرحيم : — هذا كتاب من محمد رسول الله تميم بن اوس الدارى ان له قرية جيرون الخ القصة ، قال : فلما ولی ابو بكر كتب لهم كتاباً نسخته : —

« بسم الله الرحمن الرحيم : — هذا كتاب من ابى بكر امين رسول الله (ص) الذى استخلف فى الارض بعده ، كتبه للداريين ان لا يفسد عليهم سبدهم ولبدهم من قرية جيرون وعينون ، فمن كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منهما شيئاً وليقم عمودي الناس عليهم وليمنعوا من المفسدين » .

(١٣) ابو يوسف — الخراج ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧

(١٤) لقد ورد في الأغاني ان « جيرون » هذه بناة يقع عند باب دمشق وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها . والمعروف اليوم ان بابا من ابواب الجامع بدمشق وهو باب الشرق يقال له « باب جيرون » ، وقال قوم : جيرون هي دمشق نفسها . راجع الاصفهانى — الأغاني — ج ٢ ، ص ٥٠ ، وكذلك — ابو يوسف — ص ٢٥٦ — الحاشية .

والذى يلاحظ فى رواية ابى يوسف هذه انه اولا ذكر ان الهمة تمت لتميم نفسه وليس لشقيق أخيه ، كما ذكر ذلك ابن سعد فيما سبق . ثم ان تميما ذكر لرسول الله ان له حيرة في فلسطين من الروم وهو يريد ان يكون قريبا منهم ، ثم انه تبأ للنبي وتفاعل له في فتح بلاد الشام ، واذا ما تم له ذلك فينبغي على النبي ان يبر بوعده الذى قطعه تميم هذا باقطاعه هذا . ثم انه ذكر اسم القرية « جiron » — بالجيم مع الياء — وليس « جرون » — بالحاء بعدها باء — ، وليس « جرى » كما ذكره ابن سعد او غيره كما مر معنا وكما سنرى فيما بعد .

هذا ويزيد الحموى على تلك الرواية قوله⁽¹⁵⁾ : — « وقدم على النبي (ص) تميم الدارى في قومه ، وسأله ان يقطعه جبرون ، فأجابه وكتب له كتابا نسخته » : —

« بسم الله الرحمن الرحيم : — هذا ما اعطى رسول الله (ص) لتميم الدارى واصحابه انى اعطيتكم بيت عينوز وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم بذمتهن وجميع ما فيهم فطبقت ونفذت وسلمت ذلك لهم

١٥) الحموى — معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٩٥ — ١٩٦
لقد اوردت مجموعة الوثائق السياسية نص ذلك بالضبط الا ان « جiron » وردت بشكل « جرون » بالباء بعد الحاء ، وليس بالباء بعد الجيم . وهذا الكتاب كتبه ابو بكر للداريين وليس الرسول كما اورد ذلك الحموى وغيره .

راجع ذلك في نـ الحيدر آبادى — الوثائق السياسية ، ص ٧٠ .. أما كتاب ابى بكر الى امير العسكر في الشام في امر الداريين فهذا نصه نـ « بسم الله الرحمن الرحيم نـ من ابى بكر الى ابى عبيدة ابن الجراح : سلام عليك فأنى احمد اليك الذى لا اله الا هو . أما بعد : فامنعوا من كان يؤمن بالله واليوم الاخر من الفساد في قرى الداريين وان كان اهلها قد جلو عنها واراد الداريون يزروعونها فليزرعواها . واذا رجع اليها اهلها فهي لهم واحق بهم والسلام عليك . » ، المصدر السابق — ص ٧٠ — ٧١ —

ولاعقابهم بعدهم ابد الابدين فمن آذاهم فيه آذى الله . شهد ابو بكر ابن ابي قحافة ، وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي بن ابي طالب »
 ولو لاحظنا هذه الرواية قياسا لسابقتها لوجدنا فيها : انه ذكر اسم القرية « حبرون » وليس « جiron » كما ذكرها ابو يوسف ، ولا « حبرى » كالتى ذكرها ابن سعد ، وكذلك نلاحظ ان هذا هو النص الوحيد الذى وجدنا فيه المرطوم وبيت الخليل كما اوردته دائرة المعارف الاسلامية . والشيء المهم الذى لاحظته انه يذكر اسماء شهود هم الخلفاء الراشدون الاربعة بعكس سابقتها، وان تسلسل اسماء الخلفاء جاء بحسب تسلسلهم الحقيقى بالنسبة لازمنة حكمهم ، وهذا ما يؤدى الى الشك في امر صحة الوثيقة ويرهن على انها وضعت وصيغت فيما بعد والا كيف تنسى له ان يسلسل الاسماء بهذا الشكل ، ولماذا لم يذكر مثلا اسم علي بن ابي طالب قبل عثمان ، او عثمان قبل عمر وهكذا !! وهذا بالطبع ما يساعدنا على القول في ان الرواية هذه تكون منتحلة من قبل المؤخرین ومنسوبة الى تميم الداري .

على ان اهم ما تجب الاشارة اليه في هذا الصدد بخصوص كتاب رسول الله الذي كتبه لتميم الداري واخوته سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه من غزوة تبوك حيث يورد ذلك ابن فضل الله العمرى من انه وجد نسخته في قطعة ادم من خف امير المؤمنين علي وبخطه وهي كما يلي (١٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم
 « هذا ما انطى (١٧) محمد رسول الله لتميم »

(١٦) العمري — مسالك الابصار ، ج ١ ، راجع المقالة القيمة ص ١٧٣ — ١٧٦ .

(١٧) اي العطية ، والفعل اعطى ، بلغة اليمن وذلك اشاره الى اقطاع تميم الداري .

« الدارى واخوته حبرون والمرطوم »

« وييت عينون وييت ابراهيم وما فيهن »

« نطيه بت بذمتهم ونفت وسلمت ذلك لهم »

« ولاعيبهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم »

« لعنه الله شهد عتيق بن ابو قحافة وعمر بن »

« الخطاب وعثمان بن عفان وكتب علي بن »

« بو طالب وشهد »

وقد اورد العمري ايضا وصفا دقيقا لكتاب الرسول هذا . فهو يقول : — وجد في خرقه سوداء من ملجم قطن وحرير من كم الحسن ابي محمد المستضيء بالله امير المؤمنين وبطانتها من كتان ايض على تقدير كل اصبع منه ميلان اسودان ، مشقوقان بميل ايض جعل ضمن اكياس يضمها صندوق من ابنيوس يلف في خرقه من حرير ، والكتاب في خرقه من ادم اظنهما من ظهر قدم . ومسا يذكره العمري في هذا الخصوص ان الكتاب آتف الذكر مكتوب بالخط الكوفي الملحي القوى وهذا ما يلفت الاتباه حقا كما سترى فيما بعد . ويضيف الى ذلك ان المستضيء كتب معه ورقة بنصه شاهدة لهم بمضمونه ، ومزيلة لشك الشاك المريب وظنونه . ويؤكد العمري ذلك كثيرا ويقول انه رأى ذلك كله بعينه ومن خط المستضيء نقل ، وهو خطه المألوف ويزيد بأنه يعرف خطه معرفة لا يشك بها ولا يرتاب .

على ان ما يلاحظ لاول وهلة عند قراءة النص اعلاه ورود عباره : « ابو قحافة » الف وباء وواو ، ثم « قحافة » ، و « بو طالب » باء وواو ثم « طالب » ، وليس في « بو » الف . وعند ذكر اسم « علي » سبقته عباره « وكتب » بينما اعقب لفظة « بو طالب » عباره « وشهد » وقد جاء ذلك على ما يبدو بالنسبة لعلي تخصيصا وتعريفا .

ومما يلاحظ في هذه الوثيقة ايضا انها تضارع في كثير من تفاصيلها ان لم يكن في مجموعها ما ورد في الرواية السابقة التي اوردها الحموي بهذاخصوص ما خلا بعض الاختلاف الذي ورد مثلا فيما يتعلق بحقيقة منح الرسول « تميم واخوته » بينما وردت في سابقتها عبارة « لتميم الدارى واصحابه » ففى هذه نلمس الشمول واضح بينما في تلك الرواية التخصيص او فسح ، وهذا يفضى بما الى ان « نعميم » اخو تميم الدارى قد شمله اقطاع الرسول باعتباره يدخل ضمن عبارة « واخوته » ٠

وهناك شيء آخر يجب ان نقوله في هذا الموضوع وهو ان الخط الذي كتب فيه تلك النصوص التي مر ذكرها كان الخط الكوفي زد على ذلك فإنه كان من النوع البدائي ، اي من النوع الذي كان شائعا في عصر صدر الاسلام بدون تقييد ، وحروفه ذات اشكال هندسية كما نحن نعلم من انواع الخطوط وتدرجها بحسب اطوارها ٠ ولا بد ان بعض حروف تلك النصوص او كلماتها قد انمحت ، وهو بالذات الرأى الذى تعتمد عليه دائرة المعارف الاسلامية ، او ان قراءة النصوص الواردة بهذا الخصوص كانت قراءة ناقصة او غير واضحة ، ولا بد لهذا الارتباط في القراءة من تأثير في صحة الرواية ٠

على ان ما يلفت الانتباـ - كما اسلفنا - ان رواية العمري التي اوردناها قبل قليل والتي يؤكد ناقلها انها كتبت بالاصل « بالخط الكوفي المليح القوى » ٠ ان ذلك حقا يثير التساؤل ، فهل يا ترى تلك تعود في الواقع الى زمن الرسول !! وادا كان الامر كذلك فأن ما متوفـر لدينا من حـقائق عن نوع الخطوط الكتابية التي سـادت في العـصر الاسلامي الاول - كما نـوـهـناـ عـنـهـ آـنـفاـ - يتـنـافـيـ وـمـاـ وـرـدـ فيـ تـأـكـيدـ العـمـريـ عـلـىـ اـنـاـ كـتـبـتـ بـخـطـ كـوـفـيـ قـوـيـ مـلـيـحـ ،ـ وـالـفـكـيـفـ يـمـكـنـنـاـ التـوـفـيقـ بـيـنـ الـامـرـيـنـ ٠ـ

الحقيقة ربما ان الامر غير هذا او ذاك بل ربما ان الوثيقة منسوبة الى تميم ولم تدون في زمن الرسول كما تزعم ، وهذا من المحتمل يكون

وما تقدم يمكننا ان نقول ان هذه الروايات بخصوص طبيعة وحقيقة الاقطاع الذى منح الى تميم ، وكذلك بخصوص النصوص الواردة في ذلك ، كلها تدعو الى التساؤل : عجبا هل ان كل هذه الامور هي حقيقة واقعة ام لا ؟؟ ثم هل انها تتعلق بشخصية حقيقية ام شخصية اسطورية !! وهل ان تميم الداري (١٨) هذا هو حقيقة صحابي ام لا ؟؟ كل هذه اسئلة واستفهامات ترافق في مخيله كل من يتبع ذلك . الا ان الحقيقة تقول : - ان تميمها هذا هو شخصية تاريخية حقيقة وليس اسطورية كما ذهبت اليه دائرة المعارف الاسلامية - او كادت - وذلك بتشكيكها في شخصيته . ثم انه من الطبيعي طالما انه شخص غير مسلم في النشأة والنسب ، بل دخل الاسلام فيما بعد ، لا بد له وان درس كتب العهد القديم دراسة وافية ، وامثال تلك الكتب كما هو معلوم مليء بالاقايسص والروايات والاخبار المقتولة والاساطير التي كانت تشوهاً من ذكرها سحقة آراء غريبة كلها عوامل تدعوه هو قبل كل شيء الى ان يذهب في افقه بعيداً بعد ان اضحي راوية ومخبراً في عصر الاسلام . وهكذا بدأ تميم ينحو المنحى الاسطوري كما هو معلوم لدينا .

ثم لا شك في ان شخصية كهذه لا بد وان تتسع حولها خيالات وحكايات شتى يلعب فيها الخيال دوراً هاماً .
اما بشأن النصوص المتغيرة التي وردت بشأن اقطاعياته فلا شك كما ذكرت انها اتحلت او صيغت فيما بعد ونسبت اليه او هو اتحلها لنفسه وصاغها بحسب رغبته .

(١٨) يذكر ابن سعد ان تميمها هذا كان قد صحب الرسول وغزا معه وروى محنـه ولم يزل بالمدينة حتى تحول الى الشام بعد مقتل عثمان بن عفان ، كان تميم هذا يكنى « ابا رقية » وتأيد ذلك ايضاً دائرة المعارف الاسلامية . راجع : ابن سعد - الطبقات ، ج ٧

وهب بن منبه^(١٩)

وكنيته ابو عبد الله ، وهو من التابعين ، وكان احد قصاص جنوب الجزيرة العربية ، ويعتبر مصدرا هاما من مصادر القصص الاسلامي الذي اعتمد في كثير من اصوله على الاساطير والحكايات التي كانت موجودة لدى اهل الكتاب . وينحدر نسبه الى اصل فارسي . ولد في « ذمار — Dhimār » التي تبعد قرابة مرحنتين من صنعاء وكان ذلك في عام ٣٤ هـ في خلافة عثمان .

وقد مر بنا سابقا ان اليهود نشروا في البلاد التي نزلوها في جزيرة العرب تعاليم التوراة وما جاء فيها من تاريخ خلق الدين ومن بعث وحساب وميزان ونشروا تفاسير المفسرين للتوراة وما احاط بها من اساطير وخرافات . وكان لوهب بن منبه واضرابه من اليهود الذين اسلموا فيما بعد نصيا وافرا في ذلك .

والواقع ان اهم ما تجدر ملاحظته في هذا الخصوص ان العصر الذي عاش فيه وهب — واعني به عصر التابعين — تميز بتضخم التفسير بالاسرائيليات والنصرانيات ، لكثرة من دخل منهم في الاسلام ، وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يشير اليه القرآن من احاديث يهودية ونصرانية . فالمسلمون مثل نراهم اذا ما سمعوا : « فقلنا اضربووه ببعضها » تسألهوا : — وما ذلك الذي ضربوا به ؟ وما قدر سفينة نوح ؟

(١٩) هناك بحوث قيمة عن وهب بن منبه انظرها في :-

Rosenthal, History of muslim Historiography,
Vol. III P. 1084

وكذلك في :- الدوري — علم التاريخ ، ص ١٠٣ — ١١٧

وما اسم الغلام الذى قتله العبد الصالح في قصة موسى معه ؟ وأذا تلى عليهم « فخذ اربعة من الطير » قالوا : ما انواع هذا الطير ؟ وما هي الكواكب التي رأها يوسف في منامه ؟ كذلك اذا سمعوا اشارة الى بدء الخليقة طلبوا بقية القصة . وكان الذى يسد هذا الطمع هو التسورة وما علق عليها من حواش وشرح ، بل وما ادخل عليها من اساطير وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الاسلام فتسرب منهم الى المسلمين كثير من هذه الاخبار ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح . ولم يخرج كبار الصحابة مثل ابن عباس من اخذ قولهم ^(٢٠) بالرغم مما روى عن النبي قوله : « اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبواهم » على ان معظم الروايات التي وردت عنبني اسرائيل في كثير من التفاسير كتفسير بن جرير مثلا لو تتبعتها لتلمست بوضوح ان بطل الرواية فيها هو وهب بن منبه . ومما يلاحظ في روایات وهب هذه واقعیصه بأنها غير دقيقة ، فكان يقص كتب اليهود واحادیثهم من غير تحرر دقيق ، او من غير ان تصبح روایته صبغة علمية .

اما المسلمين فقد تساهلوا في اخذهم عنه كما اشار اليه ابن خلدون لانه لا يترتب على ما يحكى استبطاط لحكم شرعى او نحوه ^(٢١) .
والواقع فأن وهب بن منبه يعتبر ذا دور بارز وبالاخص اذا ما اخذنا

(٢٠) احمد امين — فجر الاسلام ، ج. ١ ، ص. ٣٠ ، ٢٥٢ — ٢٥٣ ،
ص ٢٤٧ .

(٢١) نفس المصدر ، ص ٢٥٢
اننا لو تبعينا موقف الرواية والمؤرخين من وهب واخباره ،
لللاحظنا انهم كانوا على قسمين ، وكان هو موضع نقد واختلاف . فبينما
يوثقه البعض ينتقده اخرون ، وكان وهب من اصحاب الاخبار
والقصص . فياقوت يدعوه « الاخباري صاحب القصص » ، وابن
خلكان يصفه بـ « صاحب الاخبار والقصص » ، و يؤيدهما الذهبى
حين يقول نـ « كان اخباريا علامة فاصا » . انظر الدورى — علم
التاريخ ، ص ١٠٤ .

بنظر الاعتبار كونه اول من وضع هيكلًا وان كان قصصياً لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الاسلام . وقد اخذ عنه او تأثر به من ناحية المادة او الهيكل بعض المؤرخين التاليين^(٢٢) .

ووهد هذا — من اليمن — كان على جانب عظيم من الثقافة والاطلاع . وله اخبار كثيرة وقصص تتعلق بأخبار الاوائل وقيام الدنيا واحوال الانبياء وقد الف في ترجمة الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واعمارهم في مجلد واحد كما يقول ابن خلkan ، ويضيف الى ذلك بأنه من الكتب المفيدة^(٢٣) . وكان وهب يقول : قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا ، بينما نلاحظه يقول في رواية اخرى بأنه قرأ اثنين وتسعين كتابا وثلاثة وتسعين كتابا^(٢٤) كلها انزلت من السماء .. اثنان وسبعون منها انزلت في الكنائس وفي ايدي الناس ، وعشرون لا يعلمها الا القليل . ويزعم انه وجد في كلها : — ان من اضاف الى نفسه شيئاً من المشية فقد كفر^(٢٥) .

يبدو من ذلك ان وهب هذا كان يدين بفكرة اهل القدر ، فقد ذكر احمد بن منبه عن عبد الرزاق بن ابيه انه حج عاممة الفقهاء عام ١٠٠ هجرية ، فحج وهب ، فلما صلوا العشاء اتاه نفر فيهم عطاء والحسن وهم يربّلون ان يذكروه في القدر ، قال : فامعن في باب من الحمد فما زال حتى طلع الفجر فافترقوا ولم يسألوه عن شيء ، قال احمد وكان يتهم بشيء

(٢٢) الدورى — علم التاريخ ، ص ١١٣

(٢٣) ابن خلkan — وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ . كذلك : الدورى — علم التاريخ ، ص ١١٠ ، حيث يرى الاستاذ الدورى انه من المحتمل كان هذا الكتاب الاساس لكتاب « التيجان في ملوك حمير واليمن » الذى رواه هشام منسوباً الى وهب عن طريق عبد المنعم بن ادريس .

(٢٤) ان هذا التباین الواسع في عدد الكتب وفي نسبتها أمر يثير الشك ، ويلفت النظر ولهذا فمن الصعب قبوله والتمسویل عليه . انظر :

الدورى — علم التاريخ ، ص ١٠٥

(٢٥) ابن سعد — الطبقات الكبرى — ليدن ، ج ٥ ، ص ٣٩٥

من القدر ، وقل الجوزاني بأن وهب كان قد كتب كتابا في القدر ثم حدث
انه ندم عليه^(٢٦) .

والواقع اتنا لو تتبعنا روایات وهب واقاصيصه لالقينا سيلالا حصر
له وكلها مليء بروايات اسطورية لا يختلف معها العقل او المنطق وكثير
منها – كما مر معنا – جاء في وصف يوم البعث والحضر وفي الخلق وخلق
آدم وغير ذلك من الامور التي تطرق اليها في اساطيره . فيما قاله مثلا في
خلق آدم : – ان رأسه من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من
الثالثة ويداه من الرابعة وبطنه وظهره من الخامسة وعجزه من السادسة
وساقاه وقدماه من السابعة وسماء آدم لانه خلقه من اديم الارض^(٢٧) .

والرواية لا تحتاج الى كبير عناء في التدقيق والتحقيق لأنها خاوية
متهافة على نفسها متفككة في الاسلوب الذي صيفت به .

على ان ما وردنا من اخبار الاولين وحكايات الانبياء شيء كثير ،
ومن ذلك ما كان يرويه وهب في اقصيصه كفوله مثلا : ان بين نوح
وابراهيم الفا سنة ومائتا سنة واربعون سنة والذى حاج ابراهيم في ربته
هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وقهرا وغضبا وسن سنن السوء
واول من لبس لباس التاج ووضع اسرار النجوم ونظر فيه وعمل به
واهلكه الله بعوضة دخلت في خياشيمه فعذب بها اربعين سنة ثم
مات^(٢٨) .

ومن اقصيصه مثلا التي تبدو عليها المسحة اليهودية والتي تدل

(٢٦) ابن خلkan – وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ . ومع ذلك فترد
اشارة الى انه بقي قدريا الى فترة متأخرة من حياته . انظر :
الدورى – علم التاريخ ، ص ٤٠

(٢٧) الكسائي – قصص الانبياء – ليدن ، ص ٢٣ – ٢٤

(٢٨) ابن قتيبة – المعارف ، ص ١٥

بوضوح على الترسب الفكري الضخم من الثقافات القديمة الذي كان متسبباً به وهب^(٣٩) ما رواه : - ان اسحاق امر ابنه يعقوب ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين^(٤٠) ، وان ينكح من بنات خاله « لابان بن ناهر بن ازر » وكان مسكنه فلسطين فتوجه اليها يعقوب وادركه في بعض الطريق الليل فبات متوسداً حبراً ، فرأى فيما يرى النائم - كذا .٠٠ - كان سلماً منصوباً الى باب السماء عند رأسه والملائكة - كذا .٠٠٠ ! - تنزل منه وتدرج فيه واوحي الله اليه اني انا الله لا اله الا انا الله واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق وقد ورثتك هذه الارض المقدسة وذرتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت فيكم الكتاب والحكمة والنبوة ثم انا معك حتى تدرك هذا المكان فاجعله يبتاً تعبدني فيه انت وذرتك فيقال انه يبت المقدس فبناء داود وابنه سليمان ثم اخرجه الجبارية بعد ذلك فاجتاز به شيئاً وقيل عزير فرآه خراباً فقال : انا يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله ماية - كذا - عام ثم بعثه كما قص عزوجل في كتابه الكريم . ثم بناء ملك من ملوك فارس يقال له كوشك .٠٠٠ وهكذا يستمر في وصف

(٢٩) مما يلاحظ من الروايات المنسوبة اليه ان وهب روى قطعاً من المعهد القديم منقولة بصورة حسنة ومقتبسة في تفسير الطبرى ، وقطعاً من المزامير ، وتدل بعض اخباره على معرفة بالتلמוד . وينذكر انه روى اسماء سفر التكوين واصحاصه طبقاً للنص العبرى مع ملاحظة تحريفات الترجمة السريانية . وهناك اشارات تدل على معرفة وهب بالعبرية وربما بالسريانية . فقد ذكر الاستاذ الدورى انه ورد في كتاب « التيجان في ملوك حمير واليمن - ص ٢٨ » المنسوب الى وهب الفاظ عبرانية وآخرى سريانية امثال نـ « تقينان » عبرانى تفسيره باللسان العربى « مشتري » ، و« مهليل » عبرانى تفسيره باللسان العربى « محمود » ، و« مالالى » سريانى تفسيره بالعربى « مسيح الله » . راجع : الدورى - علم التاريخ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ كذلك مع حاشية رقم (٣) ، ص ١٠٦

(٣٠) انظر القصة مفصلاً في نـ ابن قتيبة - المعارف ، ص ١٨

المسجد الاقصى وقبة المراج — قبة الصخرة — وقبة داود وما الى ذلك من امور^(٣١) .

لقد مر معنٍ سابقاً ان وهب كان واسع الاطلاع غزير المعرفة ما ترك شاردة ولا واردة الا وقص فيها . وكان بطبيعة الحال للاساطير والاقاصيص اليهودية والنصرانية المعين الدافق الذي استقى منه وهب كثيراً من اقواله واقاصيصه كما مر معنا ان هناك مؤلفات كثيرة تسب الى وهب عن فترة ما قبل الاسلام ، ومن تلك كتابه « مبتدأ الخلق » او (المبدأ) او (المبتدأ) ، ويري روزتال ان كتاب الاسرائيليات قد يكون نفس كتاب المبتدأ^(٣٢) .

و واضح لدينا ان وهب هذا ، لم يكن بامكانه تغيير ما طبعت به عقليته من ناحية الفكر والثقافة باعتباره يهودي الشأن والثقافة . ولهذا نراه لا يخرج حتى من الاعتماد على رواياتبني اسرائيل وتشييتها في كثير من رواياته واقاصيصه . ولهذا يذكر لنا ياقوت الحموي ان وهبا كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالاسرائيليات^(٣٣) .

قلنا ان وهب كان يروي في امور كثيرة ومن ذلك ما يتعلق بيوم القيمة ، فقد ورد في ذلك قوله : انه عندما يكون ذلك اليوم وتحشر الخلاق لفصل القضاء ، قيل لآدم قم وابعث بعثا الى الجنة وابعث بعثا الى النار فيعرفهم آدم بسيما لهم كما رأهم في الدنيا فتصبح صيحة لا يبقى احد في الموقف الا وسمعاً فيقبل عليهم ويقول لهم : انيستيم عهد ربكم

(٣١) ياقوت — معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٩٣ — ٥٩٤

(٣٢) الدوري — علم التاريخ ، ص ١٠٧ . كذلك :

Rosenthal, History of Muslim Historiography,

p. 265 note 2.

Becker — Papyrii, I�. 8 off.

(٣٣) الدوري — علم التاريخ ، ص ١٠٥

كذلك : ياقوت الحموي — معجم الادباء ، « ن. مرغلبيوث » — ليدن

١٩٢٧ — ٢٣٢ ، ج ٧ ، ص ١٩٢

وشهادتكم له بأنه الواحد القهار ، فيقولون انا كنا عن هذا غافلين او يقولون انما اشرك آباءنا من قبل يعنون به قايل لانه اول من عصى ربه وقتل اخاه هايل . ثم يصيحون صيحة ويقولون : - ربنا ارنا الذين اضلنا من الجن والانس نجعلها تحت اقدامنا ليكوننا من الاسفلين يعنون بالليس اللعين - كذا - وقايل بن آدم ، فعند ذلك يقبض آدم بشماله سعفاته وتسعف الى النار وواحد يمينه الى الجنة ثم يقول آدم : يا رب هل وفيت ما امرت به فيقال له : - نعم فادخل الجنة برحستي (٣٤) .

عجب غريب امر هذه الرواية ، كيف تنسى لآدم ان يقبض بشماله (٩٩٩) شخصا وليت شعري اعلم اي قبضة تلك التي تمسك دفعة واحدة ذلك العدد الضخم من البشر ، ثم لماذا هذا الفرق الهائل بين اهل النار واهل الجنة كما هو وارد فيما تزعم الرواية ؟ ثم ما هو تأويل ذلك !! اللهم الا تبرير واحد يمكننا الاخذ به اذ ربما كان ذلك كأسلوب للتخييف وتحث الناس على عدم ارتكاب ما يائمون عليه فتكون النار جزاء لهم . وهذا اللون من الاسلوب القصصي مألف لدينا على سبيل الترغيب والتخييف في كثير من القصص الديني كما هو الحال عند الحسن البصري ويزيد بن ابان الرقاشي و وهب و اضرابهم .

هذا ومن حكاياتبني اسرائيل واقصص الاولين ما رواه وهب بخصوص صالح عليه السلام قال : - ان الله عز وجل بعث صالح الى قومه حين راحق الحلم وكان رجلا احمر الى البياض سِنَاط الشعر (٣٥) ، وكان يمشي حافيا ولا يتخد حداء كما يمشي المسيح ، ولا يتخد مسكننا ولا ييتا ولا يزال مع ناقة ربه حيث توجهت . . . الخ القصة (٣٦) .

(٣٤) الكسائي - قصص الانبياء - ليدن ، ص ٥٩ - ٦٠

(٣٥) السناط - الذي لا لحمة له ، او كان خفيف العارضين ، فهو وسنوط وسنوط .

(٣٦) ابن قتيبة - المعارف ، ص ١٤

هذا غيض من فيض وقليل من كثير .

أما وفاة وهب فالثابت انه توفي عام ١١٠ هـ بصنعاء في اول خلافة هشام بن عبد الملك^(٣٧) . هذا وقد ورد عنه انه كان قد ولد القضاء لعمر ابن عبد العزيز ، ويُسْعَى ياقوت انه مات على قضاة صنعاء وهذا غير ممكِن . وقد سجن وهب في الاعوام الاخيرة كما انه جلد ولا نعرف بالتأكيد سبب ذلك ، ويبدو انه حاد المزاج يتغَبَّب ليماناته^(٣٨) .

(٣٧) ابن سعد — الطبقات الكبرى — ليدن ، ج ٥ ، ص ٣٩٥ . كذلك احمد امين — فجر الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(٣٨) الدورى — علم التاريخ ، ص ٤٠٤ . كذلك انظر : ياقوت الحموي — معجم الادباء — « ن. مرغليوث » — ليدن ، ١٩٠٧ — ١٩٢٧ ، ج ٧ ، ص ٢٣٢ .

كتاب الأحاديث

وهو ابو اسحاق كعب بن ماتع بن هيسوع اقدم مؤرخي الاثار والتقاليد اليهودية الاسلامية عند العرب وهو من يهود اليمن^(٣٩) . وقد دخل الاسلام اما في خلافة ابي بكر او عمر وكان يسمى بـ « كعب الاحبار » او كعب الخبر^(٤٠) . انتقل بعد اسلامه الى المدينة ثم الى الشام وقد اخذ عنه اثنان هما اكبر من نشر علمه : ابن عباس — وهذا يعلل ما في تفسيره من اسرائيليات — وابو هريرة . ولم يؤثر عنه انه الف كما اثر عن وهب بن منبه ولكن كل تعاليمه — على ما وصل اليها — كانت شفوية وما تقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية واساطيرها . وقد لاحظ بعض الثقاة كابن قتيبة والنويي لا يروى عنه ابدا ، وابن جرير الطبرى يروى عنه قليلا ولكن غيرهم كالشاعى والكسائي ينقل عنه كثيرا في قصص الانبياء كقصة يوسف والوليد بن الريان وآشباہ ذلك كما سنرى فيما بعد .

ويروى الطبرى ان كعب هذا جاء الى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة ايام وقال له : — اعهد فأنك ميت في ثلاثة ايام . قال : وما يدريك ؟ قال : اجده في كتاب الله عز وجل في التوراة . قال عمر : انك لتجد عمر ابن الخطاب في التوراة ؟ قال : اللهم لا ، ولكن اجد صفتكم وحليلكم ، وانه فنى اجلك وهذه القصة ان صحت دلت على مكيدة قتل عمر ، ثم

(٣٩) يروى العسقلاني انه من آل ذي رعين ، وقيل من ذي الكلاع .

راجع : العسقلاني — تهذيب التهذيب ، ص ٤٣٨

(٤٠) راجع : —

وضعها في هذه الصيغة الاسرائيلية كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل .

وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وامثالهم في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم اثر غير صالح^(٤١) . الواقع يعتبر كعب هذا اكبر من تسرب منهم اخبار اليهود الى المسلمين وكان ذلك عند دخول امثال هؤلاء الى الاسلام فزادت المنقولات وتواترت الروايات والاقصص وبقى معظمهم على ما كان لديهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في امثال هذه الاغراض اخبار موقوفة عليهم وليس مما يرجع الى الاحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل وتساهل المفسرون في ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات^(٤٢) .

على ان اهم ما يمكن ملاحظته في القصص التي وردت عن كعب الاحبار انها جملة وتفصيلا ذات اغراض دينية يحث فيها جمهور المسلمين بشكل او باخر على القيام ببعض الامور ذات الصبغة الدينية بأسلوب كله تشويق وتحبيب وترغيب . ومن اقواله مثلا : - من زار البيت المقدس شوقا اليه دخل الجنة ، ومن صلى فيه ركعتين خرج من ذنبه كيوم ولدته امه واعطى قبلها شاكرا ولسانا ذاكرا ومن تصدق فيه بدرهم كان فداءه من النار . ومن صام فيه يوما واحدا كتبت له براءته من النار^(٤٣) .

وكعب يريد من روایته تلك ان يحبب الى الناس ويسوقهم الى زيارة بيت المقدس فتراه يسلك من اجل ذلك اسلوباً ترغيباً جميلاً ، على انه مثلاً يروي لنا في رواية اخرى قصة بناء بيت المقدس وكيف تم ذلك ؛

(٤١) احمد امين - فجر الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٩

(٤٢) المصدر ذاته نفس الصفحة

(٤٣) الحموي - معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٩٢

والرواية بعد ذاتها تدل بوضوح على ترببات ثقافته الاسرائيلية وقولبة عقله ضمن اطار تلك الثقافة واليك هذه القصة :-

قال كعب :- اوصى الله تعالى الى داود ابن لي بيتسا ، قل يا رب :
واين من الارض ، قال : حيث ترى الملك شاهرا سيفه فرأى داود ملكا
على الصخرة واقفا ويده سيف^(٤٤) .

على ان اخبار بيت المقدس ومناقبها والاقاصيص التي ترد بهذا الخصوص نجد ان روایات كعب زاخرة بذلك . وما قصه في هذا الصدد قوله :- ان معقل المؤمنين ايام الدجال البیت المقدس يحاصرهم فيه حتى يأكلوا او تارق سبّهم من الجوع في بينما هم كذلك اذا سمعوا صوتا من الصخرة فيقولون هذا صوت رجل شبعان فينظرون فإذا عيسى بن مرريم ، فذا رأه الدجال هرب منه فيتقاه بباب ليد فيقته^(٤٥) .

نظرة واحدة على تلك الاقصوصة نلاحظ بوضوح الصيغة الاسرائيلية التي وردت فيها بشكل جلي ، زد على ذلك الاخيلة الاسطورية والاسلوب الذي اعتدناه والفناء في روایات واقاصيص الكتاب المقدس ، ولا مندوحة من ذلك فكعب الاخبار قاص مجید ورواوية واسع الاطلاع ذو ثقافة ومعرفة عسقيتين في كتب العهد القديم واخباربني اسرائيل .

هذا وما يجدر تثبيته هنا ان كعب هذا كان قد روی وقص اخبارا وحكايات شتى في امور الخلية والكون وخلق الارض والجبال والبحار^(٤٦) . وما الى ذلك من امور بث فيها كثيرا من اخبار التوراة وبني

(٤٤) الحموي - معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٩٢

(٤٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة

(٤٦) راجع القصص والروایات التي وردت بهذا الخصوص في :-
الكسائي - قصص الانبياء ، ص ٨ - ٩

اسرائيل فجاءت ذات طابع اسطوري الفناه في اسلوبه القصبي واسلوب اضرابه من اليهود الذين دخلوا الاسلام امثال وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وغيرهم .

اما وفاة كعب فقد قلنا سابقا انه لما اسلم خرج من المدينة الى الشام فسكن في حمص حتى توفي بها سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان وفيها ارخه غير واحد وقد بلغ من العمر مائة واربعة سنين (٤٧) .

(٤٧) العسقلاني — تهذيب التهذيب ، ص ٤٣٩

يَزِيدُ بْنُ إِبَانَ الرِّقَاشِي

وهو فارسي الأصل ونظرًا لكونه كذلك نجده قد ورث القصص الذي اشتهر به . وهو قاص مبدع مجيد ، كما كان الفضل وعبد الصمد الرقاشيان^(٤٨) . ويرى الجاحظ أن الفن القصصي هذا ما نشأ إلا حيث كان أمثال يزيد بن إبان الرقاشي هذا^(٤٩) ، وهو كما أسلفنا من أبناء الفرس وورثة الروح الفارسية فكانت مجالسهم الدينية تشدق عن أخبار الأمم الماضية وكان تأويلهم للقرآن يخرج بالاقصص المختلفة ،

(٤٨) وهو الفضل بن عيسى الرقاشي ، كان سجاعاً في قصصه ، وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وابان بن أبي عياش يأتون مجلسه ، قال له داود بن أبي هند : لو لا انك تفسر القرآن برأيك لاتيناك في مجلسك !! قال : فهل ترانى أحرم حلالاً وأحل حراماً ... !! وإنما كان يتلو الآية التي فيها ذكر النار والجنة والحضر والموت واشباه ذلك . وقد كان عبد الصمد بن الفضل وابو العباس القاسم بن يحيى وعامة قصاص البصرة ، وهم اخطب من الخطباء يجلسون إليهم عاممة الفقهاء وكان يقول في قصصه : سل الأرض فقل : من شق انهارك وغرس اشجارك وجني ثمارك ؟ فان لم تجب حواراً اجابتك اعتباراً . انظر : الجاحظ — البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٧ . أما عبد الصمد الرقاشي فكان هذا هو الآخر سجاعاً في قصصه وخطبه قال سئل ذات يوم : لم تؤثر السجع على المنشور وتلزم نفسك القواف واقامة الوزن ؟ قال : ان كلامي لو كنت لا أمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلاف عليك ولكنني اريد الفائب والحاضر والراهن والغابر ، فالحفظ اليه اسرع والاذان لسماعه انشط وهو احقق بالتقيد وبقلة التفلت . وما تكلمت به العرب من جيد المنشور اكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من جيد المنشور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . المصدر السابق ، ص ٢٣٤

(٤٩) لقد اعتمدنا في بحثنا عن يزيد الرقاشي على ما جاء في : الجاحظ — البخلاء ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦

وكان يزيد — فيما يظهر — من اوائل الذين ادخلوا هذا النمط من الوعظ ، وهذه الوسيلة الى تقوية العاطفة الدينية ، فهو بحق يعتبر من الرواد الافذاذ في مضمار القصص الديني ، وكانت تحدوه في قصصه رغبته في خدمة الدين الحنيف ، وترسيخ وتعزيز مفاهيمه لدى جمهور المسلمين . اما الناس فكانوا يختلفون في تقديره . فقد كان هنالك الى جانب العجبيين به ، من كان يرى في اسلوبه هذا تكلافا وتلقيقا ، فكان يستقل حديثه ، ويغض مجلسه ، ويتحدث بن ابي امية عنه فيقول :-

شَهِدَ الرَّقَاشِيُّ فِي مَجْلِسٍ
وَكَانَ إِلَيْهِ بُغِيَضًا مُقِيَّا

فَقَالَ : اقْرَأْ كُلَّ مَا شَتَّتْهِي
فَقَلَتْ : اقْرَأْتُ عَلَيْكَ السُّكُوتَ

وكان المحدثون يعرضون عنه ويتهمونه . ذلك ان طبيعة القصص والرغبة في التأثير والقصد اليه لم تكن تتفق كثيرا مع التزمر في الرواية ، فكانت تدعو به في كثير من الاحيان عن الدقة وتجري الصحة وبذلك كثرت في رواية الحديث مآخذه كما كثر الطعن عليه . فكان شعبة يقول : « لأن اقطع الطريق احب الي من ان اروي عن يزيد » ، ويقول مرة اخرى : « لأن ازني احب الي من ان احدث عن يزيد الرقاشي » ، ويقول بن حيان : « غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة » .

وقد كان يزيد الرقاشي رقيق العاطفة حاد الشعور كما يؤخذ من اخباره وكلماته ، وقد مات في العشرة الثانية من القرن الثاني كما نقل صاحب تهذيب التهذيب عن البخاري .

الحسن البصري

وهو ابن أبي الحسن البصري . شخصية بارزة من شخصيات القرن الاول الهجري . سبى ابوه ابن الفتوحات الاسلامية وحمل من ميسان الى المدينة ، وغدا فيها مولى لزيد بن ثابت الشهير وتزوج من امة لأم سلمة تدعى « خيرة » فأنجبا الحسن عام ٢١ هـ - ٦٤٢ م وشب الحسن في وادي القرى ، ثم استقر في البصرة واشتهر فيها بمتانة خلقه وقواه وعلمه وفصحته . وكان يعتبر نذا معاصره الحاجاج في الخطابة وراوية ثبتنا للحديث ، فقد عرف عنه انه كان متصلا بسبعين رجل من شهدوا وقعة بدر ، وان كان عدته في روایة الحديث هو انس بن مالك^(٥٠) .

والحسن البصري قاص مجيد امتاز بورعه وقواه ، وبسعة مداركه وعلو كعبه في امور الدين والفقه ، وقد مر معنا سابقا عند الحديث عن موقف المسلمين من القصاص كيف ان الخلفاء وأئمة المسلمين وقفوا موقفا صلبا تجاه القصاص فمنعوا جمهور المسلمين من الجلوس اليهم والاستماع الى احاديثهم . وكيف ان الامام علي لما دخل مسجد البصرة اخذ يخرج القصاص منه واحدا تلو الاخر حتى اتهمي الى الحسن البصري فتركه يحدث الناس ولم يخرجه تعبيرا عن تقديره لشخص الحسن البصري ولعلمه وتقاه .

والحق فأن الحسن البصري كان قاصا من نوع آخر ، لو نظرناه قياسا لما مر معنا من امثال وهب بن منبه وكتب الاخبار واضرابهما ، فهو لم يكن ينحو منحى الذين يعتمدون على الاسرائيليات والنصرانيات .

(٥٠) دائرة المعارف الاسلامية - باللغة العربية - مصر ، ٧٣ ، ص ٣٨١
« مادة الحسن البصري » .

اما كان يعتمد على التذكير بالآخرة ونحوها ، ويستخرج العظة مما يقع حوله من حوادث ، فقد كان يجلس في آخر المسجد بالبصرة وحياته الناس يسألونه في الفقه وفي حوادث الفتن التي كانت في عهده ويحدثهم بما صح عنده من حديث ٠ ويقص عليهم فیعظهم ويدركهم ٠

ومما أثر من قصصه : « يا ابن آدم لا ترض احدا بسخط الله ، ولا تطين احدا في معصية الله ، ولا تحمدن احدا على فضل الله ، ولا تلومن احدا فيما لم يؤتك الله ، أن الله خلق الخلق فمضوا على ما خلقهم عليه ٠ فما كان يظن انه مزداد بحرصه في رزقه فليزداد بحرصه في عمره ، او يغير لونه او يزد في اركانه او بنائه » ٠

وك قوله : « يا ابن آدم لم تكن فكولت ، وسألت فاعطيت ، وسئلتك فمنعت ، فبئس ما صنعت !! » ثم يكرر ذلك مرارا ٠ وله اقوال كثيرة من هذا النحو مشوّهة في كتب الادب^(٥١) ٠

والواقع فنظره خاطفة على اقواله تلك مثلا ترينا الاسلوب الذي استعمله في احاديثه وهو غالب ما كان يتمتع بالنصح والارشاد وتقريب بعض الامور الدينية الى عقول محدثيه وتفوسيهم ٠ واسلوبه على ما يظهر لنا في اقواله تلك يتمتع بالإضافة لما اسلفنا بالذكير في عسل الخير والتحذير من عواقب الامور ٠

(٥١) احمد امين - فجر الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٩

صالح المري

وهو من رواد القصص الديني الاجلاء ٠ وكان يكنى « ابا بشر »
وهو مولى مرة بن عبد القيس ٠ وقد كان من اهل الخير والصلاح وكان
يرى رأي اهل القدر^(٥٢) ٠ وكان عابداً بليغاً ، وفاصاً مجيداً ، وكثيراً
ما كان ينشد في قصصه وفي مواعظه هذا البيت :-

فبات يرَوَيِ اصول الفسيل
فعاش الفسيل ومات الرجل
وكان سحيج الكلام رقيق المجلس ، عذب المواعظة ، ذا اسلوب طلق
مستطاب ، ومن اقواله :-

« سوء الاستماع نفاق ٠ وقد لا يفهم المستمع الا بالتفهم ، وقد
يفهم ايضاً من لا يفهم »^(٥٣) ٠

وكان يسئل في كلامه اسلوب الوعظ والنصائح والارشاد وتوجيهه
جمهور المسلمين وجهة الخير والعمل الصالح ، وتحذيرهم بضرورة تجنب
عمل الشر وما يترب على ذلك - في حالة العكس - من عواقب وخيمة .
كما لنظرته الدينية ولثقافته بهذه اثراً واضحاً في قوله افكاره ومن
ذلك كان صالح المري كثيراً ما يردد في مجلسه قوله :- اعوذ بك من
الخسف والمسخ والرجفة والزلزلة والصاعقة والريح المثلثة واعوذ بك من
جهد البلاء ومن شماتة الاعداء ٠ وكان يقول :- اعوذ بك من التعب
والتعذر والخيئة وسوء المنقلب ٠ اللهم من ارادني بخير فيسر لي خيره ،

(٥٢) الباحظ - البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٦٠

(٥٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣١

ومن ارادني بشر فاكفني شره ، اللهم اسألك خصب الرحل وصلاح
الاهل (٥٤) .

من هذا الاسلوب الواضح والدعاء الهادئ نستطيع ان نستقرىء
نفسية صاحبنا البسيطة الزاهدة المتعبدة ، ولا غرو اذا ما انعكس ذلك في
كل ما يروي وما يقص .

هذا ولو تقضينا اخبار وقصص صالح المري وامثاله لوجدنا امامنا
حشدنا من هؤلاء الذين آلت اليانا رواياتهم واقاصيصهم ولا سيما اوائل
المتعبدين الزاهدين امثال ابي حازم الاعرج « المتوفي عام ١٤١ هـ » ،
وقد كان هذا صالحًا ورعاً وزاهداً امتازت قصصه بصبغتها الدينية ودعوه
لعمل الخير وتجنب كل ما هو شر ومن امثاله كثيرون .

الباب الثاني

قصص الظرائف و الفكاهة

نظرة عامة

يظهر للمتابع الدارس للقصص والقصاص في الاسلام ما آلت اليه القصة والقصاص وما حصل عليها من تطور ملحوظ ، سواء كان ذلك في الاسلوب او في الغرض . فبعد ان كانت تعنى بأمور الدين والخلية وما الى ذلك ، اضحت الان تميل الى الظرافة والفكاهة . وبعد ان كانت ذات اتجاهات سامية أخذت تميل الى الهزل والفكاهة ، وغدت هذه الصناعة في غاية من السخف بعد ان كانت تنزع الى غاية من اكرم الغايات مذ ان بدأت بمثل يزيد بن ابان الرقاشي^(١) .

وهكذا اخذت طائفه من القصاص ، وهم قصاص الجنسيه ، او قصاص العامة الذين استفحلا امرهم بتأثيرهم على الناس اذ تدهوروا ولم يعنوا بالقرآن او الحديث ، بل صار قصدتهم اصحاب الناس وجلب رضاهم ليحصلوا على مالهم وذلك برواية القصاص الغريبة والاسماء المضحكه والخرز عبارات المختلفة .

(١) ويزيد بن ابان الرقاشي هذا فارسي الدم عريق في فارسيته — وقد سبق الكلام عنه آنفا — ويعتقد الجاحظ ان لجنسيته هذه اثر في حياته ، وابرز ما يظهر فيه هذا الاثر هو القصاص الذي عرف به . فقد كان قاصاً مجيناً وما نحن نحسب ان هذا الفن نشأ الا حيث كان امثال يزيد الرقاشي هذا . وكان كما اسلفت من ابناء الفرس وورث الروح الفارسية ، حيث كانت مجالسهم تتشقق عن اخبار الامم الماضية وكان تأويلهم للقرآن يزخر بالاقصاص المختلطة . وكان يزيد فيما يظهر من اوائل الذين ادخلوا هذا النمط من الوعظ . وهذه هي الوسيلة الى تقوية العاطفة الدينية . انظر كذلك : **الجاحظ** — **المخلاء** ، ص ٢٦٦ وما بعدها .

وقد اختلقو الاحاديث والروايات واوردوها في اساليب غريبة
متباينة ليستمروا بها الناس . ومن طريف ما يروى^(٢) : ان احدهم
قام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال : - روی لنا غير واحد
انه من بلغ لسانه اربعة ائمه لم يدخل النار . فما بقي احد الا واخرج
لسانه يومي به اربعة ائمه .
وسنأتي فيما بعد على بعض هؤلاء القصاص الظرفاء .

(٢) الدوري ومعرف - تاريخ الحضارة العربية ، من ٢١١

بعض رواد قصص الفكاهة

● ابو كعب الموصي

● عبد الاعلى القاص

أبو كعب الصوفي

وابو كعب هذا يمثل الطور الذى نحن بصدده من القصص والقصاص ، وذلك حين صار هذا الفن صناعة من الصناعات الدنيا التي يلتزم بها العيش وصار القصاص من طبقة السؤال والمستجدين يمدون اعناقهم للجمعة انتظارا للصلة والعائد — كما يصفهم الجاحظ^(١) :— واصبحوا يسلكون مع القرادين ومن اليهم في نظام واحد كالذى نجده فيما يرويه الجاحظ عن ابراهيم الموصلى في حديثه عن زلزل المعني انه كان يكابده مكابدة القصاص والقرادين^(٢) .

ولقد كان لهم في سبيلهم هذه اشياء يتذر الناس بها ويتضاحكون منها كما كانوا يتخذون العبث واضحاوك الناس — كما اسلفنا — سببا من اسبابهم ووسيلة يرتجون بها لانفسهم ، ومن هذه الطبقة من القصاص هو ابو كعب الصوفي هذا ، وقد كان هو نفسه يحفظ فوادر هؤلاء القصاص ويتذر بها ويضحك منها .

وفيما يلي شيء من فوادره واقاصيصه الطريفة :—

قال ابو كعب^(٣) :— كان رجل يُجري على رجل رغيفا في كل يوم فكان اذا اتاه الرغيف يقول :— لعنك الله ، ولعن من بعثك ، ولعني ان تركتك حتى اصيب خيرا منك .

(١) الجاحظ — البخلاء ، ص ٢٦٧

(٢) القرادون : جمع مفردها « قراد » وهو سائس القرد

(٣) الجاحظ — البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ — ٢٥١

ومن نوادره قوله^(٤) : كـا عند عيـش بن القـاسم ، وـعـنا سـيفـوهـه
الـقـاسـم ، فـأـتـيـنـا بـفـالـلـوـذـجـةـ حـارـةـ ، فـأـبـلـعـ سـيـفـوهـهـ مـنـهـ لـقـمـةـ فـغـشـيـ عـلـيـهـ منـ
شـدـةـ حـرـهـ فـلـمـ اـفـاقـ قـالـ : مـاتـ لـيـ ثـلـاثـةـ بـنـيـنـ ماـ دـخـلـ جـوـفـيـ عـنـهـمـ مـنـ
الـحـرـقـةـ ، مـاـ دـخـلـ جـوـفـيـ مـنـ حـرـقـةـ هـدـهـ اللـقـمـةـ .

ولـكـنـيـ لـاـ اـعـدـوـ الحـقـيقـةـ اـذـاـ قـلـتـ : اـنـ اـبـاـ كـعـبـ هـذـاـ كـانـتـ لـهـ مـنـ
الـقـدـرـةـ عـلـىـ صـوـغـ الـحـيـلـ الـقـصـصـيـةـ الـظـرـيفـةـ مـاـ لـمـ تـوـفـرـ لـدـىـ غـيـرـهـ مـنـ
الـقـصـاصـ .ـ وـالـيـكـ اـحـدـىـ هـذـهـ الـحـيـلـ الـمـضـحـكـةـ التـيـ تـبـيـنـ الـمـدـىـ الـذـيـ
وـصـلـتـ اـلـيـهـ الـقـصـةـ مـنـ التـدـهـورـ وـالـشـكـلـ الـذـيـ آـلـتـ اـلـيـهـ فـيـ عـهـدـهـ .ـ زـدـ
عـلـىـ ذـلـكـ شـخـصـيـةـ الـقـاسـمـ نـفـسـهـ وـمـنـزـلـتـهـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـمـدـىـ مـضـايـقـتـهـ لـهـ
كـمـاـ يـظـهـرـ ذـلـكـ مـنـ السـأـمـ وـالـمـلـلـ الـذـيـ اـدـخـلـهـ عـلـىـ نـفـسـ الـإـمـامـ وـكـيـفـ
تـدـارـكـ ذـلـكـ بـظـرـفـهـ كـمـاـ فـيـ الـقـصـةـ التـالـيـةـ :ـ

قال^(٥) : وـتـعـشـىـ اـبـوـ كـعـبـ الـقـاسـمـ بـطـفـشـيـلـ^(٦) كـثـيرـ الـلـوـبـيـاءـ وـأـكـثـرـ
مـنـهـ ، وـشـرـبـ نـبـيـذـ تـمـ ، وـغـلـسـ^(٧) إـلـىـ بـعـضـ الـمـسـاجـدـ لـيـقـصـ عـلـىـ اـهـلـهـ
اـذـ اـنـفـتـلـ^(٨) الـإـمـامـ عـنـ الـصـلـاـةـ فـصـادـفـ زـحـاماـ كـثـيرـاـ ، وـمـسـجـداـ مـسـتـورـاـ
بـالـبـوـارـىـ مـنـ الـبـرـدـ وـالـرـيـحـ وـالـمـطـرـ ، وـاـذـ مـحـرـابـ غـائـرـ فـيـ الـحـائـظـ ، وـاـذـ
الـإـمـامـ شـيـخـ ضـعـيفـ ، فـلـمـ صـلـىـ اـسـتـدـبـرـ الـمـحـرـابـ ، وـجـلـسـ فـيـ زـاوـيـةـ

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٨٨

(٥) الجاحظ — الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٤

(٦) ولـدـىـ مـرـاجـعـهـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ فـيـ الـقـامـوسـ وـجـدـتـهـ كـمـاـ يـلـيـ :ـ
«ـ الطـفـيـشـيـلـ »ـ بـالـمـعـجمـةـ كـسـمـيـنـدـعـ نوعـ مـنـ الـرـقـ .ـ وـيـسـدـوـ انـ
الـكـلـمـةـ الـوـارـدـةـ فـيـ الـقـصـةـ اـعـلـاهـ قـدـ رـافـقـهـ شـيـءـ مـنـ الـخـطاـ وـرـبـماـ كـانـ ذـلـكـ
فـيـ الـطـبـعـ .ـ رـاجـعـ :ـ الـقـامـوسـ الـمـحيـطـ — فـصـلـ الـطـاءـ بـابـ الـلـامـ مـاـدـةـ
«ـ الطـفـلـ »ـ .ـ

(٧) غـلـسـ — ايـ ذـهـبـ فـيـ آـخـرـ الـلـيلـ .ـ

(٨) اـنـفـتـلـ — ايـ اـنـصـرـفـ وـاـنـتـهـىـ .ـ

منه يسبح وقام ابو كعب فجعل ظهره الى وجه الامام ، ووجهه الى وجوه القوم ، وطبق وجه المحراب بجسمه وفروته وعمامته وكسائه . ولم يكن بين فتحته وبين انف الامام كبير شيء . وقص وتحرك بطنه ، فاراد ان يتفرج بفسوة ، وخالف ان تصير ضرطا . فقال في قصصه :- قولها جميعا : لا الا الله ! ارفعوا بها اصواتكم ، وفسوا فسوة في المحراب ، فدارت فيه وجسمت على انف الشيخ ، واحتسلها ، ثم حركته بطنه فاحتاج الى اخرى فقال :- قولها : لا الا الله !! وارفعوا بها اصواتكم ، فأرسل فسوة اخرى فلم تخطيء أنف الشيخ ، واختفت في المحراب ، فخمر الشيخ انهه ، فصار لا يدري ما يصنع : ان هو تنفس قتله الرائحة ، وان هو لم يتنفس مات كربلا ، فما زال يداري ذلك وابو كعب يقص ، فلم يلبث ان احتاج الى اخرى ، وكلما طال لبشه تولد في بطنه من النفح على حسب ذلك ، فقال : قولها جميعا :- لا الا الله !! وارفعوا بها اصواتكم ، فقال الشيخ من المحراب :- « واطلع رأسه فقال » : لا تقولوا !! لا تقولوا !! قد قلتني انما يريد ان يفسو !! ثم جذب اليه ثوب ابي كعب وقال :- جئت الى ها هنا لتفسو او تقص ؟ فقال :- جئنا لنقص ، فإذا نزلت بلية فلا بد لنا ولكم من الصبر !! فضحك الناس واختلط المجلس .

عبد الاعلى القاص

وكان هذا في عهد الجاحظ^(٩) ، وكان قاصاً فكها أيضاً ومن نوادره التي كان يوردها في قصصه في الخصي^(١٠) :- اذا قطعت خصيته قويت شهوته ، وسخن معدته ، ولا تجلدته ، وإنجردت شعرته ، واتسعت فتحته ، وكثرت دمعته ٠

وعبد الاعلى هذا هو الذي كان يقول في قصصه^(١١) :- الفقير رداوه علقة^(١٢) ، ومرقه سلقه ، وجرذقه^(١٣) فلقه^(١٤) ، وسمكته شلقه^(١٥) ، في طيب له كثير ٠

ويزيد على ذلك الجاحظ نفسه في كتاب الحيوان ، فيقول في نهاية القول^(١٦) :- وسمكته شلقه ، وزاره خرقه » ٠ من طريف نوادر عبد الاعلى هذا انه قيل له يوماً :- لم سمي الكلب قتلطياً ؟ قال :- لانه قل ولطى ٠ وإذا قيل له :- لم سمي العصفور عصفوراً ؟ قال :- لانه عصى وفر^(١٧) ٠

ولو نظرنا طبيعة الاسلوب الذي صيغت به تلك القصص الظرفية

(٩) الجاحظ — البخلاء ، ط ١٩٥٨ ، ص ٣٦٥

(١٠) الجاحظ — الحيوان ، ج ١ ، ص ١٠٧

(١١) الجاحظ — البخلاء ، ط ١٩٤٨ ، ص ٩٤ السطر ١٨

(١٢) العلقنة : اي القميص بلا كمئين ٠

(١٣) الجرائق والجرذقة : وهو الرغيف وجمعه : جراديق ٠

(١٤) الفلقة : نصف الشيء المفروم ، او القطعة . المصدر السابق ، ص ٦٢٦ ، مادة « فلق » ٠

(١٥) الشلقة : نوع من الأسماك رخصة العظم . المصدر السابق ، ص ٤١١ ٠

(١٦) الجاحظ — الحيوان ، ج ١ ، ص ١٠٧

(١٧) الجاحظ — البخلاء ، ط ١٩٤٨ ، ص ٩٤ ، السطر ١٥

والنوادر ، للاحظنا بادىء الامر انها صيغت بأسلوب مسجوع مستهورة السامع فيكون لها وقع في النفس ، وبذا يؤثر في تفوس العامة من الناس وخصوصا اولئك الذين كانوا يجلسون في حلقات ومجالس القصص تلك . وعلوم ايضا ان مثل هذا الاسلوب كان يستعمل ولا يزال واعني به الاسلوب المسجوع في الكلام عند اولئك المكدين الذين يستجدون نوال الاخرين .

ومن القصص ما كان يصور سلوك بعض الاشخاص في المجتمع، احوالهم وطرق معيشتهم ، مع التلميح البسيط الى شيء من حياتهم العامة . كل ذلك مما يحمل على ان بعض القصص في هذا السور اخذت تحتك بالمجتمع وبدأت تصور بعض افراده مما كان له الاثر فيما بعد . او يتحمل انه كان بداية الطريق الى ظهور نوع جديد من القصص التي كانت كثيرا ما تتخلل بعض المقامات والتي اتسمت موضوعها بادىء ذي بدء بنقده اللاذع للمجتمع ، وان كان بأسلوب مبتدئ وغير مفصل .

ومن ذلك قول الجاحظ^(١٨) : - حدثني ابراهيم السندي قال :-
كان على ربع الشاذروان شيخ لنا من اهل خراسان ، وكان مصمما بعيدا من الفساد ، ومن الرشا ، ومن الحكم بالهوى . وكان حفيا جداً . وكذلك كان في امساكه ، وفي بخله وتدنيقه في تقفاته . وكان لا يأكل الا ما لا يدب منه ، ولا يشرب الا ما لا بد منه . غير انه اذا كان في غدة كل جمعة حمل معه منديلا فيه جرذتان وقطع لحم سكباح^(١٩)

(١٨) الجاحظ - البخلاء ، ط ١٩٥٨ ، ص ٢٤

(١٩) السكباح : مرق يعمل من اللحم والخل . انظر : المنجد ص ٣٥٢ ، مادة « سكب » .

برد ، وقطع جبن ، وزيتونات وصرة فيها ملح ، وأخرى فيها اشنان ،
واربع بيضات ليس منها بد . ومعه خلال ومضى وحده حتى يدخل
بعض بساتين الكرخ وينظر موضعا تحت شجرة وسط خضرة وعلى
ماء جار ، فإذا وجد ذلك جلس وبسط بين يديه المنديل ، وأكل من
هذا مرة ومن هذا مرة ، فآن وجد قيم ذلك البستان رمى أليه بدرهم
نم قال :— اشتري لي بهذا او اعطيك بهذا رطبا ان كان زمان رطب ، او
عنبا ان كان في زمان الغنب . ويقول له :— ايأك ايأك ان تحاسبني
ولكن تجود لي ، فأنك ان فعلت لم أكله ولم اعد اليك ، واحذر
الغبن ، فان المغبون لا محمود ولا مأجور ، فان آتاه به أكل كل شيء
انى به ثم تخلل وغسل يديه ، ثم تمشي مقدار مائة خطوة ثم يضع
جانبه فينام الى وقت الجمعة ، ثم ينتبه فيفشل ويمضي الى المسجد .
هذا كان دأبه كل جمعة ٠٠٠٠

والىك قصة اخرى من هذا اللون ، وهي تبين شخصا بخيلا
وصلت فيه درجة البخل الى اقصى الحدود فيقول الجاحظ (٢٠) :—

قالوا :— واحتقن عمرو بن يزيد الاسدي بحقنة فيها ادهان فلما
حركته بطنه كره ان يأتي الغلاء فتذهب تلك الادهان فكان يجلس في
الطست فيقول :— صفووا هذا فانه يصلح للسراج .

رأيت كيف بدأت القصة ت نحو منحي جديدا في طبيعتها وفي
اسلوبها وفي اعراضها وكذا القصاص . وكيف انها اخذت تحتك
بالمجتمع وبواقع افراده وطبعتهم كما اسلفت آنفا . وللننظر الان الى

(٢٠) الجاحظ — البخلاء ، ط ١٩٥٨ ، ص ١٥١

مقالات حيث يقول (٢١) :-

« سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسطه فقال : - يا اهل العراق، يا اهل السبق والسباق ، ومكارم الاخلاق ، ان اهل الشام في افواهم لقمة دسمة قد رتب لها الاشداق وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركها لكم بالمراء والجدال ، فالبسوا لها جلود النمور ٠٠٠٠ »

وكثر من هذا القصص الرخيص الذي لا يقاس بالنسبة للذى سبقه قبل قليل من حيث الاسلوب والمعنى ٠

(٢١) **الجاحظ** — **البيان والتبيين** ، ج ١ ، ص ٣١١
ومعا تجدر الاشارة اليه هو الوصف الذي اورده **الجاحظ** بحق احد القصاصين الذين كانوا يحترفون القصص في عهده قوله :- « انه كان لغبة السلامة عليه يتوهם عليه الفلة » . انظر : **الجاحظ** — **البيطراء** ، ط ١٩٥٨ ، ص ٣٣٠ ٠

كذلك **الجاحظ** — **الحيوان** ، ج ١ ، ص ١٠٧
كذلك **الجاحظ** — **الحيوان** ، ج ٥ ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦

The Encyclopaedia of Islam, Vol. II, London 1927
Becker — Papyrii, Ip. 8 off.

P. 265 note 2.

المراجع

- ١ - الجاحظ : البخلاء - تحقيق طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٤٨
- ٢ - الجاحظ : البيان والتبيين - تحقيق حسن السنديسي ، القاهرة ، ١٩٣٢
- ٣ - الجاحظ : الحيوان - تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة ، ١٩٥٨
- ٤ - ابن سعد : الطبقات الكبرى - ليدن ١٣٣٢ هـ
- ٥ - دائرة المعارف الإسلامية : باللغة العربية - القاهرة وباللغة الانكليزية :

The Encyclopaedia of Islam, Vol. II, London, 1927

- ٦ - أبو يوسف : الخراج - القاهرة ١٣٤٦ هـ
- ٧ - ياقوت الحموي : معجم البلدان - الطبعة الاولية
- ٨ - الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر - طبعة بترور بورغ ١٨٦٥
- ٩ - المكي : قوت القلوب - القاهرة ١٩٣٢
- ١٠ - البلخي «المقدسي» - البدء والتاريخ - باريز ١٩٠١ م
- ١١ - الطبرى : تاريخ الامم والملوک - طبعة القاهرة والطبعة الاولية
- ١٢ - المقرizi : الخطط المcriزية - مصر ١٣٢٤ هـ
- ١٣ - جولد تسيمر : مذهب التفسير الإسلامي - تعریف الدكتور عبد الحليم التجار ، ١٩٥٥

- ١٤ - الدوري : الدكتور عبد العزيز : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب - سلسلة « نصوص و دروس » - العدد العاشر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت
• ١٩٦٠
- ١٥ - النجار : عبد الوهاب : قصص الانبياء - مصر ، الطبعة الثالثة - ١٩٥٣
- ١٦ - الدوري : الدكتور عبد العزيز وناجي معروف - موجز تاريخ الحضارة العربية - بغداد ، ١٩٤٩
- ١٧ - القطيفي : علي الشيخ منصور المرهون - قصص القرآن - النجف الاشرف ١٩٥٥
- ١٨ - الكتاب المقدس : بيروت ، الطبعة الثالثة ١٨٩٠ م
- ١٩ - احمد امين : الدكتور : فجر الاسلام ، القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٣٣
- ٢٠ - خلف الله : الدكتور محمد احمد : الفن القصصي في القرآن الكريم - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥١
- ٢١ - خلف الله : الدكتور محمد احمد : الوظيفة الفنية للقصة القرآنية - مجلة القصة المصرية ، العدد السابع، القاهرة يوليو ١٩٦٤
- ٢٢ - الثعلبي : احمد بن محمد بن ابراهيم : قصص الانبياء المسمى بـ « الرئيس » ، الطبعة الاولى - مصر ١٣٢٥ هـ
- ٢٣ - جاد المولى : محمد احمد ومحمد ابو الفضل ابراهيم علي محمد البجاوي والسيد شحاته : قصص القرآن مصر ١٩٣٧

- ٢٤ - الحيدر آبادي : الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعمد النبوى والخلافة الراشدة - القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ ٠
- ٢٥ - العمرى : ابن فضل الله : مسائل الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق احمد زكي ، القاهرة ١٩٢٤ ٠
- ٢٦ - الغزالى : الامام : احياء علوم الدين - طبعة بولاق ٠
- ٢٧ - الكسائي : محمد بن عبدالله : قصص الانبياء - تحقيق اسحاق بن شاؤول ايزنبرغ - ليدن ١٩٢٢
- ٢٨ - العسقلاني : ابن حجر : تهذيب التهذيب - حيدر آباد - الدكن ١٣٢٧ هـ ٠
- ٢٩ - ابن خلkan : وفيات الاعيان - بولاق ١٢٩٩ (وستنفلد)
- ٣٠ - ابن قتيبة : المعرف - القاهرة ١٩٣٥
- ٣١ - الفيروزآبادي : مجد الدين : القاموس المحيط - مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٣٣ ، المطبعة المصرية
- ٣٢ - المنجد : بيروت
- ٣٣ - الاصفهانى : ابو الفرج : الاغانى - القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٨ ٠

المختصرات بحسب قيم المراجع

- ١ - الجاحظ : البخلاء
- ٢ - الجاحظ : البيان والتبيين
- ٣ - الجاحظ : الحيوان
- ٤ - ابن سعد : الطبقات
- ٥ - دائرة المعارف الاسلامية : باللغة العربية ، ولللغة الانكليزية.
- ٦ - ابو يوسف : الخراج
- ٧ - ياقوت الحموي : معجم البلدان
- ٨ - الدمشقي : نخبة الدهر
- ٩ - المكي : قوت القلوب
- ١٠ - البلخي « المقدسي » : البدء والتاريخ
- ١١ - الطبرى : تاريخ الامم والملوک
- ١٢ - المقرىزى : الخطط
- ١٣ - جولد تسيهر : مذهب التفسير الاسلامي
- ١٤ - النجار : قصص الانبياء
- ١٥ - الدورى : علم التاريخ
- ١٦ - الدورى والمعروف : تاريخ الحضارة العربية
- ١٧ - القطيفي : قصص القرآن
- ١٨ - الكتاب المقدس
- ١٩ - احمد امين : فجر الاسلام
- ٢٠ - خلف الله : الفن القصصي
- ٢١ - خلف الله : الوظيفة الفنية
- ٢٢ - الثعلبي : قصص الانبياء « الرؤساء »

- ٢٣— جاد المولى ورفاقه : قصص القرآن
- ٢٤— الحيدر آبادي : الوثائق السياسية
- ٢٥— العمري : مسالك الابصار
- ٢٦— الغزالى : احياء علوم الدين
- ٢٧— الكسائي : قصص الانبياء
- ٢٨— المسغلانى : تهذيب التهذيب
- ٢٩— ابن خلkan : وفيات الاعيان
- ٣٠— ابن قتيبة : المغارف
- ٣١— الفيروزآبادي : القاموس المحيط
- ٣٢— المنجد
- ٣٣— الاصفهانى : الاغانى

نهر من أبجدي

حرف الالف

ابراهيم الموصلي : ٧٢

ابراهيم السندي : ٧٦

ابراهيم بن هاني : ٢٥

ابن اسحاق : ٣٥ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٥

ابن جريج : ٢٩

ابن خلدون : ٥٤

ابن خلكان : ٥٥ ، ٥٤

ابن سعد : ٥٩ ، ٥٥ ، ٥١ ، ٤٦ ، ٤٥

ابن عباس : ٦٠ ، ٥٤ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ٢١ ، ١٦ ، ١٣ ، ٧ ، ٦٤

ابن عمر = عبد الله : ٤٣ ، ٣٣ ، ٢٣ ، ٢٢

ابن قتيبة : ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٧

ابن لهيعة : ٣٢

ابن مسعود : ٣٠

ابو بكر = الخليفة : ٦٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٣٢

ابو حازم الاعرج : ٦٩

ابو عبيدة بن الجراح : ٤٨ ، ٤٦

ابو كعب الصوفي : ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢

ابو هريرة : ٦٠ ، ١٣ ، ٤

ابو يوسف الانصاري = قاضي القضاة : ٤٧

احمد امين : ٦٥٤ ، ٤٣ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٥ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ١٥ ، ١٣

احمد بن حنبل : ٥٥

آدم = النبي : ٥٥ ، ٢٠ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٤ ، ١٣ ، ١١ ، ٨ ، ٣ ، ٢ ، ١٣ ، ١١ ، ٨ ، ٣ ، ٥٥ ، ٥٦

٥٨

الاسرائيليات : ٦٦ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٣ ، ٩ ، ٣ ، ٢

الاصفهاني = ابو الفرج : ٤٧

الاعمش : ٣٥

امية بن ابي الصلت : ٥

اسن بن مالك : ٦٦

حرف الباء

البخاري : ٦٥

البصرة : ٦٦ ، ٣٥ ، ٣٣ ، ٢٤

البلخي «المقدسی» : ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٣ ، ١١ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥٦

٤٣ ، ٤٢ ، ٣١

بني اسرائيل : ٦٢ ، ٥٩ ، ٥٧ ، ٥٤ ، ٤٥ ، ١٨ ، ٤ ، ٢

بني الدار : ٣٩

بيت عينون : ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٤

حرف التاء

تبوك = الغزوة : ٤٩ ، ٣٩

التكوين = السفر : ٥٦ ، ٣٧ ، ٩

تميم الداری : ٥١ ، ٥٠ ، ٤٧ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ١٥

٥٢

حرف الشاء

الشعبي = احمد بن محمد بن ابراهيم : ٦٠ ، ١٢ ، ١١ ، ٨ ، ٧

حرف الجيم

الجاحظ = عمرو بن بحر : ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٨ ، ٦٤ ، ٣٧ ، ٢٥

جاد المولى = محمد احمد : ١٦
الجزيرة العربية : ١٥ ، ٥٣
جلجامش : ٣٨

جولد تسهير = الاستاذ : ٣٣٢٤، ٢٣٢٢، ٢١، ٤٠٣
جيرون : ٤٧ ، ٤٨

حرف الحاء

حام بن نوح : ٣٦
حبرون « حبری » : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩
الحسن بن هشام = الرواية : ٧
الحسن البصري : ٦٦٥٩، ٥٥٣٣، ٣٢، ٢٤، ٢٢
حمص : ٦٣
الحموي = ياقوت : ١١٦٧ ، ٥٧، ٥٤، ٥٠، ٤٨، ٤٥، ٤٢، ٤١، ١١٦٧
حمير : ٥٥ ، ٥٦
الحيدر آبادي = الدكتور محمد حميد الله : ٤٧ ، ٤٨

حرف الخاء

خراسان : ٧٦
خزيمة بن قيس : ٤٦
خلف الله — الدكتور محمد احمد : ٢ ، ٣٦ ، ١٩
 الخليفة بن فروة الكلبي : ٢٩
خير — الغزوة : ٣٩

حرف الدال

الدجال والجساسة : ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠
دحية الكلبي : ٢٩
الدمشقي : ٤١
الدوري — الدكتور عبد العزيز : ٢٤ ، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٧١

حرف المذال

ذمار — في اليمن — : ٥٣

حرف المراء

رابعة العدوية : ٣٤

الرازي : ١

الربيع بن انس : ٢٨

روزتال : ٥٧

حرف الزاي

الزبير بن العوام : ٣٦

الزهرى : ١٦

زيد بن ثابت : ٦٦

حرف المسين

سليمان بن عتر التجيبي — القاضي والقاص : ٢٣

سيفویه — القاص : ٧٢

حرف الشين

الشام : ٧٨٦٦٣٦٠٥١٦٤٨٤٧٦٤٦٤٥٦٤٠٦٣٩

شرجيل بن حسنة : ٤٦

حرف الصاد

صالح المري : ٦٩ ، ٦٨

صنعاء : ٥٩ ، ٥٣

حرف الضاد

الضحاك بن مزاحم : ٢١

حرف الطاء

الطبرى — ابن جرير : ٧ ، ٦

حرف العنوان

عائشة - أم المؤمنين : ٢٣٦ ٢٥٦

Abbas bin Abd al-Malik : ٤٦

عبد الاعلى القاص : ٧٥

عبد الدار:

عبد الصمد الرقاشى : ٦٤

عبدالله بن سلام :

عثمان بن أبي العاص : ٣٣

عثمان بن عفان : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٣

العسقلاني - ابن حجر : ٦٣ ٦٠

علي بن أبي طالب : ٦٦٦ ٤٩٦ ٤٨٦ ٤٦ ٤١ ٦ ٣٦ ٦ ٣٣ ٦ ٣٢

عمر بن یاسر :

٥٩ : عمر بن عبد العزيز

عمر بن الخطاب : ٦٠٦٤٩٦٤٨٦٤٦٦٣٢٦٣١

عمر و بن یزید الاصدی : ۷۷

العمري - ابن فضل الله : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

عياش بن القاسم :

عيسى - النبي - : ٣٧٦ ٣٦

حرف الغين

الغزالی - الامام : ٢٦٠٣٥٦٢٢

حرف الفاء

فِلَسْطِين : ٣٩ ٦٤٤ ٦٤٧ ٦٥٧

قلهاوزن : ۳۹

٦٤ الفضل بن عيسى الرقاشي :

الفیروز آبادی : ۱

حرف القاف

قرיש : ٣١
القطيفي : ٣٥

حرف الكاف

الكسائي — محمد بن عبد الله : ١٧ ، ٥٨ ، ٥٦ ، ١٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ،
كعب الاخبار : ١٤ ، ١٥ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٣٠ ، ٢٣ ،
الكتعانيون : ٥٧

حرف اللام

لبيد بن اعصم اليهودي : ٣٥
لخم : ٣٩
لقمان — الحكيم : ٧
الليث بن سعد : ٣٢ ، ٢٥

حرف الميم

المدينة : ٤٢ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٠ ، ٦٦ ،
مرة بن عبد القيس : ٦٨
المطروم «مطلون — مرطلون» : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ،
مصر : ٢٣
معاوية بن ابي سفيان : ٢٥ ، ٣٢ ،
المعتضد — الخليفة : ٢٤

مقاتل : ٢١
المقريزي — تقي الدين : ٤٤ ، ٣٩ ، ٤٥ ،
مكة : ١٠ ، ٤٢ ،
المكي : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،
ميسان : ٦٦

حرف النون

ناجي معروف — الاستاذ : ٧١ ، ٢٤

النبار — عبد الوهاب : ١٦

نوح — النبي : ٥٦ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦

النصارى : ٥٣ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٢

النووي : ٦٠ ، ٣٩

حرف الواو

واسط : ٧٨

الواقدى : ٢٩

وهب بن منبه : ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٥ ، ١٤ ، ١١

٦٦ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٩

حرف الهماء

هشام بن عبد الملك : ٥٩

حرف الياء

يأجوج ومأجوج : ١٦

يزيد بن ابان الرقاشي : ٧٠ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٥٩

يزيد بن حبيب : ٣٢

يزيد بن المهلب : ٧٨

اليهود : ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ١٥ ، ٩ ، ٨ ، ٢

اليمن : ٦٠ ، ٥٤ ، ١٥

ثُبَّتِ المَوَاضِيع

الصفحة

الموضوع

٨٨—١	باب الاول — القصص التاريخي والديني	تمهيد
٢٣—١	الفصل الاول — القصة وتطورها — القصص في القرآن	تقديم
٥٣—٣٤	القصاص ونظرة المسلمين اليهم	
٨٨—٥٥	الفصل الثاني — رواد القصص التاريخي والديني	
٧٠—٥٧	تميم الداري	
٧٨—٧١	وهب بن منبه	
٨٢—٧٩	كعب الاخبار	
٨٤—٨٣	يزيد بن ابان الرقاشي	
٨٦—٨٥	الحسن البصري	
٨٨—٨٧	صالح المري	
١٠٢—٨٩	باب الثاني — قصص الظرافة والفكاهة	
٩٢—٩١	نظرية عامة	
١٠٢—٩٣	بعض رواد قصص الفكاهة	
٩٧—٩٥	ابو كعب الصوفي	
١٠٢—٩٩	عبد الاعلى القاسى	
١٠٥—١٠٣	المراجع	
١٠٨—١٠٧	المختصرات بحسب تسلسل المراجع	
١١٥—١٠٩	فهرس ابجدي	
٠٠٠—١١٦	ثُبَّتِ المَوَاضِيع	

انتهى الطبع بتاريخ ٢٨/٣/١٩٦٦

ABDUL-HADI AL-FOUADI

NARRATIONS IN ISLAM

A brief study of the origin of the Islamic Narrations, their types and development throughout the Islamic periods, with glimpses of the first famous Moslem narrators.

Forwarded by
Dr. Ibrahim aS-Samarra'i
College of Arts,
University of Baghdad

Publication assisted by the ministry of Education,
Baghdad — IRAQ

Baghdad, 1385 A. H. — 1966 A. D.